ظاهرة القلب في العربية
البنية المكانية للكلمة
دراسة تحليلية تركيبية

الأستاذ المساعد الدكتور
محمد جواد الطريحي
جامعة بغداد - كلية الاداب

هذا البحث محاولة للم شتات اسلوب من اساليب العربية يعد من سماتها وخصائصها ، لم يلق عناية من الباحثين فعمدنا الى لملة اطرافه المتشعبة في البلاغة والنحو واللغة والدلالة وتركنا الخوض في الميدان الصرفي إذ أنه الجانب الذي اهتم به الباحثون القدامى و المحدثون وأوفوه حقه من الدراسة ، ولذا فان هذه الدراسة اقتصرت على تمهيد تبين من خلاله مفهوم القلب لغة واصطلاحاً ثم تتبع هذا الاسلوب عند البلاغيين ثم اللغويين مختتماً ذلك بمفهوم القلب عند النحويين وأماكن وقوعه في الجملة والتركيب النحوي وكل ذلك معزز بنماذج منتقاة من الشعر العربي والقرآن الكريم ، ولم يحاول البحث أن يدرج نماذج كثيرة إذ أن البحث ليس في سبيل الاستقصاء فليس ذلك من دأبه وليس ذلك ايضا من مقدوره إذ أن هذا البحث في سبيله الى التطور والنمو ليصدر في كتاب مستقل أن شاء الله في قابل الايام عله يسد بذلك ثغرة في المكتبة العربية التي تخلو من مصنف يجمع شتات هذا الاسلوب الذي استخدمه القرآن الكريم كما بينه البحث وذكر له نماذج منه ليدحض الأراء التي أنكرت وقوعهُ فيه وهي قليلة الى جانب الذي اثبتوه وما انكاره عندهم لشئ الا لأنهم فهموا الاسلوب خطأ على انه عبث لا يليق بالكتاب السماوي ولعمري انه لم يكن عبثاً وانما هو على سمت كلام العرب نزل بكلامهم واساليبهم فجاء بالروائع التي نتمثل بها في حياتنا اليومية.

وبعد فأن الكمال لله وحده عساه أن يجعل هذا الجهد من الباقيات الصالحات التي هي خير ثواباً وخير مرداً.

القلب لغة واصطلاحاً:

ذهب ابن فارس الى أن هذا الجذر (القاف واللام والباء) يدل في مجموع الالفاظ التي تشتق منه على أصلين صحيحين: أحدهما يدل على خالِصِ شيء وشريفهِ والأخر على ردّ شئ من جهة الى جهة.

وذكر أن من ألاصل الاول هو قلب الإنسان وغيره وعلل التسمية بقوله "لأنه أخلصُ شئ فيه وأرفعه، وخالص كلّ شئ وأشرفه قلبهُ"(١).

ومنه: عربيٌّ قلب بضم القاف وفتحها و القُلاب: داء يصيب البعير فيشتكي قلبه، والقُلَّبُ من الأسورة: ماكان قلباً واحداً لايُلوى عليه غيره، وهو تشبيه بقلب النخلة ثم شبه الحيّة بالقُلْب من الحَلْيِ ، والقلب : نجمٌ يقولون أنه قلب العقرب وقلبت النخلةَ: نزعت قلبها (٢) .

اما الأصل الثاني فقد وضحه بقوله (قلبتُ الثوب قلباً والقَلَب: انقلاب الشفة وهي قلباء وصاحبها أقلب ، وقلبت الشئ : كببتهُ وقلّبته تقليباً ، ويقال: أَقْلَبَتِ الخبزةُ : إذا حان لها ان تقلب) وعلى هذا المنوال ذهب ابن فارس الى اعادة بعض الالفاظ الى اصلهاهذا من باب التطور الدلالي مفسراً تسميته البئر بالقليب والذئب بالقِلّيب والقِلّوب والقلّب للمحتال فقال:

(والقليبُ : البئر قبل ان تطوى، وانما سميت قليبا لأنها كالشئ يقلَب من جهة الى جهة، وكانت أرضاً فلما حفرت صار ترابها كأنه قُلِبة ، فإذا طويت فهي الطّوِيّ، ولفظ القليب مذكر، والحُوُّلُ القُلَّب: الذي يُقلِّب الامور ويحتال لها... فأما القِلَّيب والقِلَّوب فيقال انه الذئب، وتمكن أن يحمل على هذا المقياس فيقال سمّي بذلك لتقلبه في طلب مأكله...)(٣) .

والحق أن محاولةابن فارس في تقسيمه المنطقي بأعادة هذا الجذر الى أصلين، قد سبقته محاولة الخليل في العين في توحيد الأصلين وجعلهما أصلاً واحداً يجمع بين الالفاظ المشتركة، هوالتفسير الدلالي حيث جاء أبتداءً قوله (القلبُ مُضغةٌ من الفؤاد مُعلَّقةٌ بالنياط، قال:

ما سُمِّي القلبُ الا من تقلُّبه والرأي يصرف والإنسان أطوار)(٤)

و الواضح أن معنى تحويل الشئ عن جهته مستفاد من ايراد الخليل للشاهد الشعري في كون القلب الذي سمي بهذا الاسم مشتق من التقلب قبل أن يصرح بأنَّ القلبَ هو (تحويلك الشئ عن وجهه، وكلام مقلوبٌ، وقلبْتُه فأنقلب، وقلَّبْتُه فتقلَّب.

وقلبتُ فلاناً عن وجهه أي صَرَفْتُه
والمُنقْلَبُ : مصيرك الى الأخرة)[٩]
وبهذه العباره الاخيرة وضع الخليل أيدينا على لفظ نقل معناه اللغوي الاصلي الى لفظ استخدمه المسلمون مصطلحاً اسلامياً ورد في كثير من الآيات الكريمة ليدل على التحويل و الأنصراف الى جهة اخرى نحو قوله تعالى : ((وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلبٍ ينقلبون))[٦] وقوله ((أنا الى ربنا منقلبون))[٧] وسيتم التطرق الى هذا الجانب في قابل البحث .
وبالمعنى ذاته من تحويل الشئ عن جهته ذهب الزمخشري في البحث عن جذر كلمة قلب فقال: ((قلب الشئ قلباً: حوّله عن وجهه، وحجر مقلوب، وكلامٌ مقلوب، وقلب رداءه، وقلّبه لوحهه: كبّه وقلبه ظهراً لبطن وقلب البيطار قوائم الدابة: رفعها ينظر اليها، وتقلّب على فراشه، والحيّة تتقلب على الرمضاء، وأقلبت الخبزةُ، حان لها أن تقلب، ورجلٌ أقلب: منقلب الشفة، وشفة قلباء: بيّنة القَلَب، وقَلِبت شفته.
وقَلَبَ حِملاق عينيه عند الغضب
قال : ((قالبُ حملاقيه قد كان يُجَنُّ))
وحفر قَلِيباً وقُلُب وهي البئر قبل الطيّ فإذا طويت فهي الطويّ و قلَبتُ للقوم قليبا : حفرته لأنه بالحفر يقلب ترابه قلباً ، والقليب في الاصل التراب المقلوب .
وقلبته : أصبت قلبه ، وقلبه الداء : أخذ قلبه ، وقلب فلان فهو مقلوب
وقلبت ناقته . قال ابن مولى المدنيّ :

يااليت ناقتي التي اكريتها قُلبت وأورثها النُّجارُ سُعالا

وبه قلاب و مابه قَلَبَةٌ : داء يتقلب منه على فراشه هي من القُلاب ثم اتسع فيها . قال النّمِر :

أودي الشباب وحب الخالة الخلبة وقد برئت فما في الصدر من قَلَبَه [٤]

ومن معنى القلب اللغوي بمعنى التحويل من شئ إلى شئ أخر اشار الزمخشري الى انتقال هذا المفهوم الى معنى مجازي فقال (ومن المجاز: قَلَبَ المعلم الصبيان: صرفهم الى بيوتهم، وقلب التاجر السلعه وقلّبها:

تبصرها وفتّش عبن احوالها، وقلب الدابة والغلام ، ورجل قلّب حوّل : يقلب الامور ويحتال الحيل (وقلبوا لك الامور) وانقلب فلان سوء المنقلب وكل أحد يصير الى منقلبه، وأنا أتقلب في نعمائه ، وهو يتقلب في أعمال السلطان.

((فانقَلَبوا بنعمة من الله))[٩]، ((فاصبح يُقلِّب كفيه))[١٠]: يتندم وهو قالبُ الخف وغيره ملا يُقلب به ، جُعل الفعل له وهو لصاحبه.....[١١]وبمعنى الثبات وعدم التحول نقل ابن منظور قول الزجاج في قوله تعالى ((نزل به الروح الامين على قلبك))[١٢]فقال (قال الزجاج: معناه نزل به جبرائيل عليه السلام ، عليك ، فوعاه قلبُك وثبت ، فلا تنساه أبداً)[١٣]

كما نقل ما روي عن النبي (ص) أنه قال ((سبحان مقلب القلوب)) وقوله تعالى ((ونقلب افئدتهم وابصارهم))[١٤].

وقد أفادنا من خلال شرحه لقلب النخلة أن نستنتج أن القلب سمي بذلك لأنه لم يتحول من مادته الغضة الطرية الى مادة صلبة وذلك إفادة من قوله ((وقلَبُ النخلة وقُلُبها و قِلُبها : لبُّها و شحمها: وهي هُنَةٌ رخصةٌ بيضاء، تمتسخ فتؤكل.... وقَلَب النخلة : نزع قلبها ، وقلوب الشجر : مارَخُصَ من أجوافها و عروقها التي تقودها . وفي الحديث : أن يحيى بن زكريا صلوات الله على نبينا وعليه، كان يأكل الجراد وقلوب الشجر: يعني الذي ينبت في وسطها غضاً طرياً، فكان رخصاً من البقول الرخصة، قبل أن يقوى ويصلب، واحدها قُلبٌ، بالضم للفرق، وقلب النخلة: جمارها، وهي شطبة بيضاء، رخصة في وسطها عند أعلاها ، كأنها قُلبُ فضة رخْص طيب ، سمي قلباً لبياضه....[١٥]

والذي يبدو لنا أن المعنى الثاني لهذا الجذر والذي يذهب إلى أنّه خالص الشئ والمحض هو من باب التطور الدلالي للمعنى الاول وهو التحول إذ أن المعاجم بينت أن قول العربي ((هو عربي قلب و عربية قَلَبه وقلب أي خالص تقول منه رجلٌ قلب وكذلك هو عربي محض قال ابو وجزة يصف امرأة :

قلبٌ عقيلةُ أقوام ذوي حسب يُرْمَى المقانب عنها و الأراجيلُ

ورجلٌ قلبٌ وقُلبٌ : محض النسب .... وفي الحديث : كان عليٌّ قرشياً قلباً أي خالصاً من صميم قريش . وقيل أراد فَهِما فطناً من قوله تعالى ((لذكرى لمن كان له قلب))[١٦]

ويبدو لنا أن معنى التغير والتحويل قد انتقل الى أشياء قد ينتابها بشكل أو بأخر معنى التغيير والتحويل فأصبح هذا الجذر علماًلها نحو الذئب الذي سمي بـ(القَلَّيب و القَلَّوْب والقلوب والقلاب) و كذلك البئر الذي سمي (القليب) والبسر هو القالب قال ابن منظور ((قَلَبت البُسرة إذا احمرت)). قال ابن الإعرابي: القلبة: الحمرة.

الاموي في لغة بلحارث بن كعب: القالِبُ بالكسر: البُسْرُ الاحمر، يقال منه قلبت البسرة تقلب إذا احمرت. وقال ابو حنيفة : إذا تغيرت البسرة كلها فهي القالِبُ. وشاةٌ قالبُ لون إذا كانت على غير لون أمها....

((ابو زيد يقال للبليغ من الرجال : قد ردّ قالِبَ الكلام وقد طبق المفَصِل. وفي الحديث كان نساء بني اسرائيل يلبسن القوالب... وفي حديث ابن مسعود: كانت المرأة تلبسُ القالبين تطاول بهما[١٧].

المعنى النحوي:

والواضح من كل ما تقدم أن المعنى اللغوي للقلب يدور حول معنى التغيّر من حالة إلى حالة أخرى وهو الذي عبرت عنه المعاجم اللغويه بتحويل الشئ عن جهة أو رد شئ من جهة إلى جهة أخرى ، وقد حاولنا تتبع هذا المعنى من معناه اللغوي إلى معناه الإصطلاحي في المظُان التي اتجه إليها ظنننا بأنها قد تكون قد استخدمته وكان من البدهي أن نذهب أول ما نذهب إلى الكتاب الاول الموضوع في النحو والذي عد قرآناً للنحو فوجدنا شيخ النحاة سيبويه يستخدم مصطلح القلب في مواضع عدة ، وذلك على الرغم من أن عناية سيبويه بالمصطلح النحوي بشكل عام لم تكن عناية تامة ولكننا هنا نراه يستخدم القلب في مواضع عدة ، كما تطالعنا تعبيرات كثيرة في كتابه من نحو (ولو كان هذا على القلب كما يقول النحويون لفسد كلام كثير)[١٨]وقوله (وان أردت الوجه الآخر فنصبت فهو جائز لا بأس به وان كان ليس له قوة الوصف في هذا، فهذا الذي الوصف فيه أحسن وأقوى)[١٩] وقوله (فأما القلبُ فباطل)[٢٠] و(لأن القلب لايصلح)[٢١] و(ومما يبطل القلبَ))[٢٢] و(إذا لم يجز القلب)[٢٣] و(لقبح القلب)[٢٤] و(لاتغير الكلام عن حاله)[٢٥]و(إن أتيتني آتيك على القلب كان حسناً)[٢٦]وقوله (سألت الخليل فقلت مامنعهم أن يقولوا: أحقاً إنك ذاهب على القلب، كأنك قلت: إنك ذاهبٌ حقاً، وانك ذاهبٌ الحق و إنك منطلق حقاً؟ فقال: .....)[٢٧]و (الرفع في

جميع هذا جيد قوي ..... تجعل الآخِر هو الأول.)[٢٩]وقوله (حين لم يجز أن تحملوا الكلامَ على القلب)[٣٠].

فهذا كما ترى في ميدان النحو والتركيب أما في ميدان القلب في الكلمة وفي الصرف فهو القلب الشائع في حروف العلة وغيرها وفي (سوايا وجبايا) و (لاث ولائث) (شاك وشائك) و (طأمن و طمأن) وغير ذللك كثير لاينبغي استقصاؤه واحصاؤه لأن القلب في الكلمة قد تناولته الدراسات بشكل واف وهو ليس من دأبنا فلينظر في مكانه [٣١]وقابل البحث سيكفل التفصيل في المواضع التي استخدم فيها سيبويه القلب.

ومثل هذا تجده عند الاعلم الشنتمري وبمصطلحات عدة منها قوله في باب التقديم والتأخير:

"اعلم أن الشاعر ربما يضطر حتى يضع الكلام في غير موضعه الذي ينبغي أن يوضع فيه ويزيله عن قصده الذي لا يحسن في الكلام غيره، ويعكس الإعراب فيجعل المفعول فاعلاً والفاعل مفعولاً، وأكثر من ذلك فيما لا يشكل معناه.."[٣٢]ومن تعبيراته "ومما وضع غير موضعه"[٣٣]وقوله "ومن ذلك تأخير المضاف اليه عن موضعه والفصل بينه وبين المضاف بالظرف وحرف الجر"[٣٤]وعقد باباً عنون له بعنوان "باب تغير الإعراب عن وجهه" ضرب لذلك أمثلة تدخل في الباب الذي عقدنا له بحثنا، وقد عقد المبرد باباً أسماه (هذا باب ما كان لفظه مقلوباً)[٣٥]ولكنه قصره على ميدان الكلمة وهذا البحث خارج الاطارالذي عقدنا عليه البحث، غير إنّه الفّ كتاباً أسماه (ما اتفق لفظه واختلف معناه) قبل فيه اسلوب القلب مطلقاً والذي يبدو لنا أن باب القلب كان معروفاً ومستخدماً عند النحويين منذ بدايات النشأة وتقعيد القواعد والتنظير لعلم النحو وهذا هو المستفاد من ابن عصفور حين عرض لقول الحطيئة:

فلما خشيت الحصول و العِيْرُ ممسكٌ على رغمه ما أمسك الحبلَ حافره

فقال معقباً على ذلك بقوله (فان كثيراً من النحويين جعلوه مقلوباً، وزعموا أنه يريد: ما أمسك الحبل حافره، إذ لولاه لخرج الحبل من رجله، والقلب مقيسٌ في الشعر بلا خلاف لكثرة مجيئه فيه، وقد جاء أيضاً في الكلام.)[٣٦] وقد نقل حازم القرطاجني أن ذلك واقع في الشعر ونقل بيت الحطيئة وأبيات أُخر ذاكراً أن قوماً حملوها (على القلب وخرّجها آخرون

على وجوه يصح الكلام عليها لفظاً ومعنى)[٣٦]وبذا يتضح أن هذا ليس رأياً لحازم وانما هو عرض لأراء غيره.

ولكن الواضح أن رد الاصمعي للقلب في هذا الموضع هو نابع من حسه اللغوي فالمعروف عنه انه كان لغوياً أكثر من كونه نحوياً ولهذا السبب كما نرى يعود انكاره للقلب في كون الحبل هو الي يمسك بالحافر بل الأصح من وجهة نظره الممعنة قي دقائق اللغة أن الحافر بما فيه من حزوز وتشققات هو الذي يمسك الحبل من الخروج عن رجله، مع ان العبارة الاخيرة لابن عصفور تشير الى أن القلب مقيساً في الشعر وان استعماله في الشعر أكثر من استعماله في الكلام، وهذا المعنى ذاته قد أكد عليه أبن هشام في مغني اللبيب ضمن الباب الثامن الذي عنون له (في ذكر أمور كلية يتخرج عليها مالا ينحصر من الامور الجزئية) وقد حصر تلك الامور في عدة قواعد منها القاعدة العاشرة حيث قال فيها (ان من فنون القلب، وأكثر وقوعه في الشعر)[٣٧]مكتفياً بعرض أمثلة للقلب في شعر العرب دون وضع حد جامع مانع له ولكنه عرض لأمثلة عديدة من المقلوب في القرآن الكريم، وهذا يؤكد أن المقلوب يقع في الشعر وفي غيره كما وضح ذلك ابن فارس حيث قال (ومن سنن العرب القلب، وذلك يكون في الكلمة ويكون في القصة)[٣٨]وعرض بمثالين لوقوعه بالكلمة وذلك من خلال تغير حروفها تقديماً و تأخيراً وهما (جذب وجبذ) و (بكل ولبك) وقال (وهو كثير وقد صنفه علماء اللغة، وليس من هذا فيما أظن- من كتاب الله جلّ ثناؤه شئ)[٣٩] ويتضح لنا من ذلك أن نفي وقوع القلب في القرآن الكريم محصور في ميدان الكلمة إذ انه عاد فشرح وقوع القلب في غير الكلمات بأشعار العرب و أقوالهم مع ذكر أمثلة لذلك من القرآن الكريم، والواضح أنه مقتنع بوقوع القلب في التركيب النحوي والجملة في القرآن الكريم كما هو واقع في الشعر تدل على ذلك عباراته بعد أن ذكر الاشعار مستشهداً بها على القلب فمن ذكره للآيات التي وقعت في القرآن الكريم مصدّرة بكلمات من نحو (ومثله في كتاب الله جل ثناؤه)[٤٠]و(ومنه قوله جل ثناؤه)[٤١]والحق أن ابن جني قد بين وقوع القلب في كلام العرب وفي النحو وعنون للبحث في هذا المجال بعنوان (باب من غلبة القروع على الاصول) قال فيه (هو فصل من فصول العربية طريف، تجده في معاني العرب كما تجده في معاني الإعراب)[٤٢]

ولكي يؤكد استخدامه في علوم العربية والنحو عاد في موضع أخر فقال (هذا المعنى عينه قد استعمله النحويون في صناعتهم...)[٤٢] ومن خلال شرحه لمواطن وقوع القلب جعل (عكس التشبيه) مرادفاً لحمل الاصول على الفروع فقال (ومن عكسهم التشبيه وجعلهم فيه الاصول محموله على الفروع في تشبيههم كثبان الأنقاء بأعجاز النساء، وغير ذلك مما قدمنا ذكره)[٤٤] وهو يعني في ذلك قول ذي الرمة :

ورملٍ كاوراك العذارى قطعتهُ إذا ألْبَسَتْهُ المظلماتُ الحنادسُ

قال أبن جني معقباً على ذلك (أفلا ترى ذا الرمة كيف جعل الأصل فرعاً والفرع أصلاً وذلك أن العادة والعرف في نحو هذا أن تُشبَّه أعجاز النساء بكثبان الأنقاء.. فقلب ذو الرمة العادة والعرف في هذا.. كأنه يخرج مخرج المبالغة..)[٤٩] ولأن القلب اسلوب من أساليب العرب في كلامها حاله في ذلك حال الأساليب الأخرى كالتوكيد والنفي والاستفهام والحذف والزيادة راح أبن جني مدافعاً عن هذا الاسلوب الذي جاء عند سيبويه مادحاً أياه بحجة أن كلام النحويين جاء على سمت كلام العرب، قال (ولما كان النحويون بالعرب لاحقين، وعلى سمتهم أخذين، وبألفاظهم متحلين ولمعانيهم ومقاصدهم آمِّين، جاز لصاحب هذا العلم، الذي جمع شعاعه وشرح أوضاعه ورسم أشكاله ووسم أغفاله وخلج اشطانه وبعج أحضانه وزمّ شوارده وأفاء فوارده أن يرى فيه نحواً مما رأوا ويحذوه على أمثلتهم التي حذوا وان يعتقد في هذا الموضع نحواً مما اعتقدوا في أمثاله، لاسيما والقياس اليه مصْغٍ وله قابل، وعنه غير متثاقل، فاعرف إذا ما نحن عليه للعرب مذهباً ولمنً شرح لغاتها مضطرباً، وأن سيبويه لاحق بهم وغير بعيد فيه عنهم ....))[٤٦] وقد بينا في سابق البحث رأي سيبويه فيه مستلاً من كتابه مفهوم القلب عند البلاغيين فتح أبن جني الباب في هذا للبلاغيين واسعاً على مصراعيه فقال قي بيت للبحتري :

نحن ركب ملجنٍّ في زي ناسٍ فوق طيرلها شُخوص الجمال

(فجعل كونهم جناً أصلاً وجعل كونهم ناساً فرعاً، وجعل كون مطاياه طيراً اصلاً وكونها جمالاً فرعاً فشبَّه الحقيقة بالمجاز في المعنى الذي افاد المجاز من الحقيقة)[٤٧] وقول ابن جني هذا هو التشبيه المقلوب الذي أطلق عليه ابن الاثير تسمية (الطرد والعكس) مُعِّرفاً إيّاه بأن (يجعل المشبه به مشبهاً

والمشبه مشبهاً به) ذاكراً ان هذا الباب (قد ذكره ابو الفتح بن جني في كتاب الخصائص واورده هكذا مهملاً)[٤].

فمن ذلك قول البحتري واصفاً البركة التي بناها المتوكل :

كأنها حين لجّت في تدفقها يدُ الخليفةِ لمّا سال واديها

فالأمر العادي والطبيعي أن تكون يد الخليفة هي التي تشبه تدفق الماء والمتدفق من البحيرة كأنه يد الخليفة في تدفقها.

وفي موضع آخر فقد قلب البحتري الصورة الشعرية في قوله :

في حمرة الورد شئ من تلهيها وللقضيب نصيب من تثنيها

فجعل حمرة الورد من حمرة خدها ، ولين الغصن وتثنيه بعض من محاسن قوامها المتمايل وفي هذا القلب مبالغة رائعة لو أن الشاعر كان قد أجرى التشبيه دون قلب المعنى أو عكسه لما امتلك مثل هذه الروعة، فالمتعارف عليه هو تشبيه الوجوه الحسان بالبدر والقامات بالقضيب، ولهذا فقد ذكر البلاغيون أنه قد يعكس التشبيه فيجعل المشبه مشبهاً به وبالعكس[٤٩]فتعود فائدته الى المشبه به لا دِّعاء أن المشبه أتم وأظهر من المشبه مشبها به في وجه الشبه، وذكروا لذلك عدة تسميات منها التشبيه المقلوب أو المعكوس أو المنعكس وقالوا في حده بأنه هو ما رجع فيه وجه الشبه الى المشبه به الزائد بالناقص ويلحق الأصل بالفرع للمبالغة ، وقد ذكروا أن هذا النوع جارٍ على خلاف العادة في التشبيه ووارد على سبيل الندور وهذا المعنى يدل علىً ندرته وهي عبارة قريبه مما ذكره ابن هشام من أن (أكثر وقوعه في الشعر)[٥٠].

والحق أن الندرة التي ذكرها البلاغيون ويعنون قلة وقوع القلب في كلام العرب كما أن القول بأن وقوعه أكثر ما يكون في الشعر يجافي الواقع اللغوي ويجانب الحقيقة التي ذكرها ابن قتيبة بعد أن أورد أمثلة كثيرة ، للدلالة على القلب فقال (في أشباه لهذا كثيرة يطول باستقصائها الكتاب)[٥١] في حين قال ابن جني مفتتحاً القول في هذا الفصل قائلاً (هذا فصل من الفصول العربية طريف تجده في معاني العرب كما تجده في معاني الإعراب)[٥٢]وفي موضع أخر قال بعد أن أورد أمثله لهذا الباب (ونظائره في هذه اللغة كثيرة)[٥٣]فعلى هذا الاستقراء للكثرة التي ورد فيها القلب يصبح لا معنى للقول بالندرة أو حصره على الشعر فهو كما سيُوضح في

قابل البحث واقعٌ في لغة العرب كما ذكر أبن جني، والذي يبدو لي أن المقصود بالندور التي ذكرها البلاغيون انما تعني فيما تعنيه ليس القلة في وقوع الشعر و قلة امثلته فهي كثيرة جداً وانما تقع في لمعاني النادرة التي يبتكرها الشاعر والناثر حيث يجري كلامه فيها خلافاً للعادة وهذا هو المستفاد من قول ابن طباطبا (إعلم إنَّ هذا النوع من التشبيه، يرد على العكس والندور وبابه الواسع هو الاطراد....، وانما لقب بالمنعكس، لما كان جارياً على خلاف العادة وإلالف في مجاري التشبيه، وقد يُقال له غلبة الفروع على الاصول، وكل هذه الالقاب دالةٌ على خروجه عن القياس المطرد، والمهيع المستمر، وله موقع عظيم في إفادة البلاغة)[٥].

والحق أن البلاغيين ذكروا أن طرفي التشبيه إذا تساويا حسن العدول عن التشبيه الى الحكم بالتشابه تباعداً واحترازاً من ترجيح أحد المتساويين على الآخر كقول أبي اسحق الصأبي:

تشابه دمعي إذ جرى و مدامتي فَمِنْ مثل ما في الكاسِ عيني تسكبُ
فو الله ما أدري أبالخمر أسلبت جفوني أم من عبرتـي كنت اشرب

ومثل ذلك قول الصاحب بن عباد :

رق الزجاج وراقت الخمر فتشابها و تشاكل الأمر
فكـأنمـا خمر ولاقدح وكـأنما قدح و لاخمر

وقد ذكر الحلبي في كتاب حسن التوسل تشبيهاً أسماه (تشبيه التفصيل) وهو يقرب من بحثنا إذ عرَّفه بقوله أن يشبه شيء بشئ لفظاً أو تقديراَ ثم يعدل عن التشبيه لا دعاء أن المشبه هو أفضل من المشبه به وذلك مثل قول الشاعر :

حسبت جمالها بدراً منيراً وأين البدر من ذلك الجمال

وواقع الحال أن خيال الشاعر ذهب به بعيداً فلم يرضَ تشبيه جمال محبوبته بالبدر وانما عكس المعنى فجعل جمال البدر لايساوي شيئاً بالمقارنة مع جمالها المنير وهذا المعنى هو الذي اراده القائل حين يقول (كأن الماء في الصفاء طباعه) أو (كأن ضوء النهار جبينه) أو(كأن نشر الروض حسن سيرته) وهوالذي اراده الشاعر الحميري حين قال:

وبدا الصباح كأن غرته وجهٌ الخليفة حين يمتدح

مشبهاً غرة الصباح بوجه الخليفة ايهاماً منه بأن وجه الخليفة اتم نوراً وأشراقاً من غرة الصباح وذكرد. احمد مطلوب صاحب معجم المصطلحات أن التشبيه المعكوس والمنعكس وغلبة الفروع على الاصول إنما هي التشبيه المقلوب[٥٤]ولهذا نرى حازماً القرطاجني قد عرف القلب بـ(كون المعنى متحرفاً بغرض الكلام عن مقصده الواضح معدولاً اليه عما هو احق بالمحل منه حتى يوهم المعنى أن المقصود به ضد ما يدل عليه اللفظ المعبر به عنه)[٥٦].

ومما يمكن ان يندرج تحت مفهوم القلب ما يسمى بقصر القلب ومعلوم أن القصر في اللغة يعني الحبس كما قال تعالى (حورٌ مقصورات في الخيام)[٥٧]أما في الاصطلاح فهو (تخصيص شئ بشئ بطريق مخصوص) بمعنى أن القصر يعني تخصيص الحكم بالمذكور في الكلام ونفيه عمن سواه)

بواسطة طرق معينة مذكورة في مظانها وهو يقسم الى قصر حقيقي بأنه يخفي المقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع لايتعداه الى غيره نحو قولك لا اله الاّ الله، وقصر إضافي وهو أن يختص المقصور عليه بحسب الاضافة والنسبه شئ أخر معين لا لجميع ما عداه نحو (وما محمدٌ الاّ رسول قد خلت من قبله الرسل)[٥٨]فقد قصرت صفة الرسالة على محمد (ص) ونفي غير ذلك من صفة الخلود أو الموت أو القتل فهو كسائر البشر ولكنه مختص بالرسالة والقصر الإضافي ينقسم على حسب حال المخاطب الى :

١- قصر افراد وذلك إذا اعتقد المخاطب الشركة نحو : انما الله إله واحد، ردّاً على من اعتقد أن لله شريك .

٢- قصر قلب وهذا هو المراد من بحثنا بأن يعتقد المخاطب عكسَ الحكم الذي تثبته نحو:

ما سافر إلا علي

رداً على من أعتقد أن المسافر هو زيدٌ أو غير زيد لا عليٌّ وبهذا فان وظيفة القصر هنا هو قلب وعكس اعتقاد المخاطب.

٣- قصر تعيين وذلك إذاكان المخاطب متردداً في الحكم كقولك : الارض ثابتة لا متحركة فيمن شك وتردد في ذلك الحكم.

الجناس المقلوب:[٥٩]وعند البلاغيين باب يدعى بـ(الجناس المقلوب) ويدعى عند بعض البلاغيين ((جناس القلب)) وهو في البديع من البلاغة العربية وينبغي أن يكون فيه الركنان متماثلين في عدد الحروف ونوعها وحركتها ومختلفين في ترتيبها وذلك باشتراط البلاغيين حيث جعلوه في اقسام هي :

اولاً: قلب البعض نحو قولك: "اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا" فـ(عوراتنا وروعاتنا) قلبت بعض الحروف لاكلها ومن ذلك قولة تعالى: ((فرقت بين بني اسرائيل))[٦٠] فالواضح أن حروف (بين) هي ذاتها حروف بني الا أن الترتيب فيها قد افترق.
ثانياً: قلب الكل : كقولك " حسامه فتحٌ لأوليائه حتفُ لأعدائه " فهنا قلبت كل الحروف من كلمة (فتح) فصارت (حتف) وهذا القلب أنواع هي :
الاول: المقلوب المجنح وذلك : إذا كان المتجانسان أحدهما أول البيت
والثاني: أخره
قال الصفدي :

رَضتْ فؤادي غادة ما كنت أحسبها تَضُرُّ

تضر مقلوب رضت.
الثاني: المقلوب المزدوج أو المكرر: وذلك إذا كان المتجانسان متواليين كقوله تعالى: ((وجئتك من سبأ بنبأ يقين))[٦١]
سبأ ونبأ جناس مزدوج لأنهما متواليان.
ومما يقرب من ذلك ما أسماه البلاغيون بالعكس أو رد العجز على الصدر ويعنون بذلك ما تقدم في الكلام جزء ثم يؤخر كقوله تعالى ((لاهنَّ حلٌّ لكم ولا هم يحلون لهنَّ))[٦٢]ومثله قوله تعالى ((وطعام الذين أتوا الكتاب حلٌّ لكم وطعامكم حل لهم))[٦٣]وقد قيل للحسن بن سهل : لاخير في السرف فقال : لاسرف في الخير فرد اللفظ واستوفى المعنى[٦٤]والواضح من ذلك أن القلب هنا أمر لفظي كما جاء في قوله تعالى ((ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ))[٦٥] وقوله ((هن لباسٌ لكم وأنتم لباس لهن))[٦٦] وقوله ((يولج الليل في النهار و يولج النهار في الليل))[٦٧].

القلب في المفهوم اللغوي:

التضاد : عرف ابو الطيب اللغوي الأضداد بقوله (الاضداد جمع ضد، وضد كل شئ مانافاه..)[٦٨]وفيما يتعلق ببحثنا فأن كلمة الضد تعني أن الكلمة توضع لمعنيين متضادين أحدهما عكس الآخر في المعنى، أي قلب المعنى الى الضد ، هكذا ذكر ابن قنيبة حين قال (ومن ذلك – أي من المقلوب– أن يسمى المتضادين باسم واحد والاصل واحد. فيقال للصبح صريم، ولليل صريم قال سبحانه وتعالى (فأصبحت كالصريم)[٦٩]اي سواد كالليل)[٧٠] وقد لمح هذه الظاهرة الخليل بن أحمد وجعلها من سعة العربية وعجائب الكلام عند تحليله اللغوي لمادة (الشَّعْبُ) حين قال (....وشعَّبت بينهم أي: فرقتهم وشعبت بينهم بالتخفيف: أصلحت .

والتأم شعبهم أي: أجتمعوا بعد تفرقهم وتفرق شعبهم. قال الطرماح:

شتّ شعبُ الحيّ بعد التئام

وقال ذو الرمة:

ولا تَقَسَّمُ شعباً واحداً شُعَبُ

وشعب الرجل أمره : فرقه . قال الخليل : هذا من عجائب الكلام ووسع اللغة والعربية أن يكون الشعب تفريقاً ، ويكون اجتماعاً ، وقد نطق به الشعر)[٧١] وقد لحظ استاذنا الدكتور كاصد الزبيدي أن أول من استخدم التضاد هو ابو عبيد القاسم بن سلام في كتابه غريب الحديث وبين أنه مما ورد في كلام العرب واحتح له بشواهد شعرية ونثرية من كلامهم[٧٢]وقد خصص ابن قتيبة باباً أسماه (تسميه الضدين بأسم واحد)[٧٣]كما جعله ابن فارس (من سنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضادين بأسم واحد، نحو: الجون للأسود والجون للأبيض)[٧٤]

وانكر ناسٌ هذا المذهب، وأن العرب تأتي بأسم واحد للشئ وضده[٧٥] وبعبارته الاخيرة هذه وضع يدنا على أن هناك من أنكر وتكفل بالرد عليهم وهو يعني بذلك أبن درستويه الذي الف كتاباً أسماه (إبطال الاضداد)[٧٦]كما كان لابن الأنباري موقفاً دفاعياً يرتبط بشكل مباشر بالتطور الدلالي وذلك بأن يكون للمعنيين المتضادين معنى شامل قديم مفسراً ذلك بالاتساع في الكلام وهذا حسب ما قدمنا مرتبط بنظرة الخليل الثاقبة التي تعود الى العربية في سعتها وهو موقف الكسائي والفرّاء وقطرب كذلك، كما أن رده تطرق الى رد تهمه اللبس الذي تورثه الكلمة بالمعنى وقلبه وذلك اللبس

يؤمنه السياق وقرائن الكلام المتقدمة والمتأخرة فهي التي تتكفل بتخصيص أحد المعنيين وتحصر دلالة اللفظة فيه فقال : (أن كلام العرب يصحح بعضه بعضاُ، ويرتبط أوله بآخره، ولايعرف معنى الخطاب منه الا بأستيفائه واسبتكمال جميع حروفه، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين، لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر، ولا يراد بها في حال التكلم والاخبار الا معنى واحداً.)[٧٢] والواضح قوله (المعنيين المتضاديين) أنه كلا المعنيين أصل كما نستنتج فليس هناك أصل تفرع منه المعنى الثاني المضاد، وذلك ماتنبه له بعض القدامى إذ أرجعوا ذلك التضاد الى خلاف اللهجات، ومع أن ذلك محتمل الوقوع الا اننا نميل الى رأي الخليل المذكور أنفاً بأن ذلك من سعة العربية، وهو ما أيده أبن سيدة في دليل ناهض مدعوم بحجة عقلية بأفتراض معترض وهمي حيث قال (قيل له: هل يجوز عندك أن تجئ لفظتان في اللغة متفقتان لمعنين مختلفين، فلا يخلو في ذلك أن يجوزه أو يمنعه، فأن منعه ورده صار الى رد مايعلم وجوده وقبول العلماء له، ومنع ما ثبت جوازه وشبهت عليه الالفاظ، فأنها أكثر من أن تحصى وتحصر... فإذا لم يكن سبيل الى المنع من هذا ثبت جواز اللفظ الواحد للشئ وخلافه ، وإذ جاز وقوع اللفظة الواحدة للشئ وخلافه، جاز وقوعها للشئ وضده))[٧٣].

وإذا كانت هذه الالفاظ عصية على الاحصاء والحصر كما ذكر ابن سيدة وكما تكفلت بذلك دراسات متخصصة في ذلك[٧٤]فان بحثنا هذا سيعرض لنماذج فيها لاجل الايضاح لاسيما ما ورد في القرآن الكريم إذ أن هذا الاسلوب مستخدم فيه كاستخدامه للاساليب العربيةالاخرى إذ أنه نزل على سمت كلامهم وان ذلك ليس مقصوراً على الشعر كما هو المفهوم من عبارة الخليل (وقد نطق به الشعر)المتقدم ذكرها.

قال أبن قتيبة (والليقين ظن، وللشك ظن، لأن في الظن طرفاً من اليقين. قال الله عز وجل ((قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله))[٨٠]أي: يستيقنون. وكذلك: ((اني ظننت أني ملاق حسأبيه))[٨١] ((رأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها))[٨٢] و ((ان ضنّا أن يقيما حدود الله))[٨٣]((هذا كله في معنى اليقين))[٨٤]

.

وذكر أيضاً من التضاد قولهم : (للمشتري: شارٍ وللبائع شار لأنه كل واحد منهم اشترى، وكذلك قولهم لكل واحدٍ منهما (بائعٌ) لأنه باع وأخذ عوضاً مما دفع فهو : شارٍ وبائع.

قال الله عز وجل ((وشروه بثمنٍ بخس دراهم))[٨٤]أي باعوه وقال: ((ولبئس ما شروا به أنفسهم))[٨٦].

وقال أبن مفرغ :

وشريت برداً ليتني من بعد برد كنت هامة[٨٧]

والحق أننا ضمن منهجنا المرسوم بعدم الاحصاء لكل الالفاظ وهي على حد تعبير السيوطي "وهذا الضرب كثيرٌ جداً"[٨٨] فاننا نذكر بعضاً منها مما ذكره ابن قنيبة دون التفصيل في ذلك إذ انها مذكورة هناك.

فمن ذلك: وراء تكون بمعنى خلف وبمعنى قدام[٨٩]ومن ذلك لفظ (جلل) تقال للكبير والصغير، وتكون كل بمعنى بعض، وبالعكس، وفوق بمعنى دون، وخشيت بمعنى علمت ورجوت بعتى خفت، ويئست بمعنى علمت، وللمستغيث صارخ وللمغيث صارخ وللظلمة سُدْفَه وللضوء سُدفة، وكل ذلك مدعوم بالحجة الثقلية من القرآن والشعر[٩٠].

والواضح أن عوامل عدة ولدت هذا النوع من الأسلوب في قلب معنى الكلمة الى الضد منها المبالغة في الوصف كقولهم للشمس (جونة) لشدة ضوئها، وللغراب أعور لحدة بصرهِ.

أو يكون ذلك على حد تعبير ابن قتيبة "ومن المقلوب: أن يوصف الشئ بضد صفته للتطير والتفاؤل، كقولهم للدَّيغ: سليم ،تطيراً من السقم، وتفاؤلاً بالسلامة. وللعطشان: ناهل أي سينهل، يعنون يَرْوَى وللفلاة: مفازة: أي منجاة وهي مَهْلَكة" [٩١].

ولابد لنا من القول هنا أن السلوك اللغوي يعتمد أساساً على عملية النطق بالألفاظ التي يؤديها المخاطب والمتحدث إلى المتحدث إليه والذي تؤول اليه عملية الفهم والسمع فإنّه لابدّ لهذا المتحدث أن يفر من (جميع الكلمات التي تعبر عن الموت والامراض والمصائب والكوارث ....ويكنى عنها بكلمات حسنة المعنى، قريبة الى الخير.)[٩٢]وهذا على حد تعبير (أولمان): (أثر من آثار الاعتقاد في سحر الكلمة)[٩٣] والكلمة في اللغة العربية لها موقع متميز عند الناطقين بها والمنتسبين اليها وبها تشب حروب وبها ينشد السلام

وتستدر العواطف وتبذل الاموال وباللمحة الذكية من المتكلم يفهم السامع المراد، قال اعرابي لاحدٍ اصحاب الشأن: أشكو اليك قلة الفئران في بيتي! فقال: أملئوا بيته رزاً وسمناً.

وعلى هذا فان مثل هذه المتضادات يمكن تفسيرها بقلب معناها على نحو من التفاؤل ورجاء السلامة وطلب العافية وهذا من خصائص العربية المعروفة برقة لغتها وأدب المتحدثين بها. قال السجستاني (انما قيل للعطشان: نأهل، على سبيل التفاؤل كما يقال: المفارزة، للمهلكة على التفاؤل ويقال للعطشان: ياريّان وللملدوغ: سيلم أي سيسلم وسيروى، ونحو ذلك)[٩٤].

وقال أبن الأنباري (واختلف الناس في الإعتلال لها لم سميت مفازة على معنى المهكلة وهي مأخوذه من الفوز؟ قال الاصمعي وابو عبيد وغيرهما: سميت مفازة على جهة التفاؤل لمن دخلها بالفوز كما قيل للاسود: أبو البيضاء وقيل للعطشان: ريان.)[٩٤]

ومثل ذلك ينطبق على كلمات نذكر منها على سبيل المثال : المفْرَح وتعني المسرور والحزين المثقل بالدين، والحافل وتطلق على الممتلئ والخالي والمسجور على المملوء والفارغ والكلمة قرآنية وردت في قوله تعالى: (إذا البحار سجرت) [٩٦]وقوله (البحر المسجور)[٩٢]وقول الجارية: ان حوضكم مسجور ولم يكن فيه قطرة[٩٨]على انني ألحظ أن كلمة (بصير) التي تطلق على الأعمى، لاسبيل لها الى التفاؤل للأعمى بصحة البصر ، وانما يعود ذلك كما قدمنا لرقة اللغة وآدبها في عدم جرح شعور المقابل أو جعله يتحسس من النقص الذي هو فيه عن بقية اقرانه من المبصرين فعمدوا الى اسلوب القلب.

وليست الرقة وأدب اللفظ والخطاب ومراعاة الشعور هي السمة الوحيدة لهذه اللغة العربية بل نستطيع أن نضيف لها خفة الدم والحيوية و الاريحية وذلك يتبين مما أسماه القدامى بـ (التهكم) تارة و (الاستهزاء) تاره أخرى فمن ذلك قولهم : للحبشي : أبو البيضاء وللأبيض : أبو الجون كما مر و (لاشك في أن عامل التهكم والهزء والسخرية من العوامل التي تؤدي الى قلب المعنى ، وتغير الدلالة الى ضدها في كثير من الاحيان)[٩٩]وقد ذكر أبن قنيبة لذلك مثلا فقال (كما تقول للرجل تستجهله: يا عاقل، وتستخففه: ياحليم)[١٠٠]

وبنحو من ذلك قال أبن الأنباري (ومما يشبه الاضداد أيضاً قولهم للعاقل: يا عاقل، وللجاهل إذا استهزؤا به: يا عاقل)[١٠١]

وضمن هذا المفهوم يمكن أن تندرج مفردات كثيرة تحت هذا المعنى لتدل دلالة أكيدة على حيوية اللغة وتطورها الدلالي المتحرك فاللغة كائن حي ينمو ويتطور والسياق حاكم في كل ذلك ، وعلى هذا يمكن لكلمة من نحو (القشيب)أن تدل على (الجديد والخلق)[١٠٢]ولفظ (التقريظ) الموضوع لمدح الحي يمكن وضعه بدلاً من التأبين الموضوع أصلاً لرثاء الميت على سبيل الاستهزاء والتهكم والسخريه بالمذموم[١٠٣].

ومنه قوله تعالى ((لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزّروه وتوقّروه))[١٠٤] فالتعزير هو التعظيم والتوقير والتعزير أيضاً : التأديب ومنه سمي الضرب دون الحد تعزيرا..."[١٠٥]وهكذا يتضح ان ما يستعمل في التعظيم يمكن أن يُستعمل في معنى التأديب والتعنيف واللوم تهكماً واستهزاء بالمذنب[١٠٦].

ومنه قوله تعالى على لسان قوم شعيب له (إنك لأنت الحليم الرشيد)[١٠٧]قال الزمخشري (وأرادوا يقولهم :إنك لأنت الحليم الرشيد ، نسبته الى غاية السفه والعي، فعكسوا ليتهكموا، كما يتهكم بالشحيح الذي لايبضّ حجره فيقال له : لو أبصرك حاتم لسجد لك)[١٠٨].

ويتضح بصورة جلية معنى القلب على سبيل الاستهزاء في قوله تعالى ((ذق انك انت العزيز الكريم))[١٠٩]أي (انت الذليل المهان)[١١٠]وذلك بعكس المعنى وقلبه ليكون (على معنى النقيض فكأنه قيل : إنك أنت الذليل المهين إلا أنّه قيل على هذا الوجه للاستخفاف به)[١١١]وذلك أوضح في المعنى عندنا من قول بعض المفسرين انه كان يريد: انت العزيز الكريم عند نفسك لأن أبا جهل قال: ما بين جبليها أعز مني ولا أكرم فقيل له ذق إنك أنت العزيز الكريم [١١٢] والعزة مقصورة على الباري عز وجل بدليل الآية٤١ من السورة ذاتها حيث قال تعالى ((الاّ من رحم الله أنه هو العزيز الرحيم)) وبذلك ينحصر المعنى في قلب معنى العزة والكرم التي يدعيها من هو ليس اهلاً لها.

ومن الاستهزاء قوله تعالى ((فلما احسوا بأسنا إذا هم منها يركضون، لاتركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه، ومساكنكم لعلكم تسئلون))[١١٣]

قال الزمخشري: ((تَهَكُّمٌ بهم وتوبيخ، أي ارجعوا الى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسئلون غداً عما جرى عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم، فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة أو ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون امره وينفذ فيه أمركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تأمرون وبماذا ترسمون وكيف نأتي ونذر على عادة المنعمين المخدمين؟ أو يسألكم الناس في أنديتكم المعاون في نوازل الخطوب، ويستشيرونكم في المهمات والعوارض، ويستشفون بتدأبيركم ويستضئيون بأرائكم، أو يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحائب اكفكم ويمترون أخلاف معروفكم وأياديكم، إما لأنهم كانوا أسخياء ينفقون أموالهم رياء الناس وطلب الثناء ، أو كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكماً الى تهكم وتوبيخاً الى توبيخ....))[١١٤]

وقد جاء هذا الاسلوب في الشعر العربي ومنه قول شتيم بن خويلد: [١١٤]

فقلت لسيدنا : يا حليـ ـمُ إنك لم تأسُ أسْواً رفيقاً

فقوله : ياحليم : هزء منه ، ومثله قول عبيد بن الابرص لجموع كندة :

هلاً سألت جموع كِنـ ـدة يوم ولّوْا : أين أينا

يستهزئ بهم حين انهزموا [١١٦]والحق أن الشعر العربي وخاصة غرض الهجاء ملئ بمثل ما قدمنا ولكننا نكتفي بذلك خشية الاطالة بعد أن توضحت الفكرة وبان المقصود ، ولكن يحضرني هنا بيت هجاء يقول:

ولو أن برغوثاً على ظهر قملةٍ يكر على جمعى تميم فرّت

فقلب الفرس الى قملة والفارس الى برغوث ومع قلة شأن الاثنين فأنهم يغلبون تميماً بأجمعها فيفرون من اللقاء إمعاناً قي السخرية والاستهزاء.

القلب غلطاً واضطراراً:

قال أبن قنيبة في معرض شرحه لقوله تعالى ((وجعلنا للمتقين إماماً))[١١٢] أي (جعل المتقين إماما في الخير ، وهذا مالايجوز أن يحكم به على كتاب الله عز وجل ، لو لم يجد له مذهباً ، لأن الشعراء تقلب اللفظ وتزيل الكلام على الغلط ، أو على طريق الضرورة للقافية أو لاستقامة وزن البيت)[١١٩].

قال: وكان بعض أصحاب اللغة يذهب في قوله تعالى ((ومثلُ الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاءً ونداء))[١٩] الى مثل هذا في القلب، ويقول: -أي بعض اصحاب اللغة-: وقع التشبيه بالراعي في ظاهر الكلام والمعنى للمنعوت به وهو الغنم.))[٢٠] والحق أن هذا القول هو لأبي عبيدة حيث قال: "إنما الذي ينعق هو الراعي، ووقع المعنى على المنعوق به وهي الغنم، تقول : كالغنم التي لاتسمع ، التي ينعق بها راعيها ، والعرب تريد شئ فتحوله الى شئ من سببه، يقولون: أعرض الحوض على الناقة، وانما تعرض الناقة على الحوض ويقولون: هذا القميص لايقطعني، ويقولون: ادخلت القلنسوة في رأسي وإنما ادخلت رأسك في القلنسوة، وكذلك الخف، وهذا الجنس، وفي القرآن: ((ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة))[٢١] ما أن العصبة لتنوء بالمفاتح : أي تثقلها .[٢٢]

وهكذا نجد ابن قتيبة يذكر صراحة مصطلح القلب الذي جعله من سمات العرب في كلامهم فشرحه لنا بأن تحول العرب الشئ الى شئ من سببه ، ثم عزز ذلك بالأمثلة على القلب ومنها الاية الكريمة من سورة القصص التي قال عنها الفراء: (نوؤها بالعصبة ان تثقلهم ، والعصبة هاهنا أربعون رجلاً، ومفاتحه : خزائنه ، والمعنى : ما إن مفاتحه لتنيئ العصبة أي تميلهم من ثقلها ، فإذا أدخلت الباء قلت : تنوء بهم وتُنئ بهم كما قال: (آتوني أُفرغ عليه قطرا)[٢٣] والمعنى: ائتوني بقطر أفرغ عليه ، فإذا حذفت الباء زدت في الفعل ألفاً في أوله ، ومثله (فأجاءها المخاض) معناه: فجاءبها المخاض، وقد قال رجل من أهل العربية إن المعنى: ما إن العصبة لتنوء بمفاتحه ، فحوّل الفعل الى المفاتح.

كما قال الشاعر :

ان سراجاً لكريم مفخره تحلى به العين إذا ما تجهره

وهو الذي يحلى بالعين.[٢٤] يريد الشاعر خرّج البيت على القلب كما كانت الاية الكريمة كذلك على القلب ، ويبدو أن بعض المفسرين وقرّاء القرآن الكريم يصيبهم الحرج من نسبة الغلط الى القرآن الكريم فمنهم من أنكره ، ومنهم من قبله مطلقاً ، ومنهم من وقف موقفاً وسطاً مشترطاً لقبوله أن يتضمن اعتباراً لطيفاً ، فممن أنكره حازم القرطاجني في منهاج البلغاء حيث نقل لنا الزركشي أنه قال : ((إنه مما يجب أن ينزه كتاب الله عنه ، لأن

العرب إن صدر ذلك منهم فبقصد العبث أو االتهكم او المحاكاة أو حال اضطرار ، والله منزه عن ذلك.

وقبله جماعة مطلقاً ، بشرط عدم اللبس ، كما قاله المبرد في كتاب (ما اتفق لفظه واختلف معناه.)

وفصل آخرون بين أن يتضمن اعتباراً لطيفاً فبليغ والا فلا ، ولهذا قال ابن الضائع : يجوز القلب على التأويل ثم قد يقرب التأويل فيصبح في فصيح الكلام ، وقد يبعد فيختص بالشعر.[١٢٤]

وقال ابن قتيبة "وهذا مالايجوز لأحد أن يحكم به على كتاب الله عز وجل، لولم يجد له مذهباً لأن الشعراء تقلب اللفظ ، وتزيل الكلام على الغلط.."[١٢٥] والمفهوم من قوله ((مذهبا)) أن الذي سوغ لهم ذلك هو انه اسلوب معتمد متبع في الكلام العربي الفصيح ومفهوم من ذلك أيضاً أن الغلط لايعني جوهر القرآن وانما هو واقع من حيث تركيب الجملة وترتيب الكلام تقديماً وتأخيرًا أو ضرورة أو لإقامة وزن وغير ذلك من الاسباب التي تسوغ للمتكلم أن يتبع أي اسلوب شاء لإخراج كلامه بالشكل المؤثر بالسامع واسلوب القلب واحد من تلك الاساليب المعتمدة كما هو اسلوب الحذف والزيادة والتوكيد والاستفهام وما الى ذلك ، ولأجل أن يؤكد شيوع اسلوب القلب وشرعيته وأن الله ((لا يغلط ولا يضطر))[١٢٦] من الجهة التي بيناها فقد راح يستشهد بأشعار كثيرة فصيحة وردت عن الشعراء العرب وفيها اسلوب القلب على سبيل المثال لا الحصر لأن ((أشباه لهذا كثيرة يطول باستقصائها الكتاب))[١٢٧].

فمن ذلك قول أبي النجم : كلمعة البرق ببرقٍ خُلّبُه

"أراد : بخلَّبٍ برقه ، فقلبَ"[١٢٨].

وقال أخر:

إنَّ الكريم وأبيك يعتمل إن لم يجد يوماً على من يتكل

"أراد : أن لم يجد يوماً من يتكل عليه"[١٣٠].

وقال ذو الرمة :

عشية فرَ الحارثيون بعدما قضى نحبه في ملتقى القوم هوير

((قال ابن الكلبي :هو يزيد بن هوير)) فاضطر.[١٣١]

القلب في حالة التساوي :

وهو مصطلح استنتجناه من النماذج الواردة في مجال القلب وذلك نحو قوله

قد سالم الحياتُ منه القدما الافعوانَ والشجاعَ الشجعما

فنصب (الافعوان والشجاع) والوجه فيهما الرفع والنصب ((لأن ما خالفته فقد خالفك))[١٣٢] فهما فاعلان ومفعولان وذلك لأن الفعل سَالَم من أفعال المشاركة على زنة فاعل.

ومن ذلك قول الشماخ المشهور يذكر أباه:

منه وُلدت ولم يُؤشب به حسبي لماً ، كما عُصِبَ العِلباءُ بالعود

قال أبن قتيبة : ((وكان الوجه أن يقول : كما عصب العود بالعلباء ، فقلب، لأنك قد تقول : عصبت العلباء على العود كما نقول :عصبت العود بالعلباء))[١٣٣]

ومنه قول ذي الرمة :

وتكسو المجنَّ الرخوَ خصراً كأنه إهانٌ ذوى عن صُفرةٍ فهو أخلق

وكان الوجه أن يقول : وتكسو الخصر مجناً ، فقلب ، لأن كسوت يقع على الثوب وعلى الخصروعلى القميص و لابسيه ، تقول : كسوت الثوب عبد الله وكسوت عبد الله الثوب [١٣٤] وعلى هذا قول أبي النجم (قبل دنو الافق من جوزائه) وكان الوجه أن يقول : قبل دنو الجوزاء من الافق ، فقلب لأن كل شئ دنا منك فقد دنوت منه[١٣٥] ومنه قول الراعي النميري يصف ثوراً:

فصبحَّته كلابُ الغوث يوسدها مستوضحون يرون العين كالأثر

وكان الوجه أن يقول: يرون الأثر كالعين، لعلمهم بالصيد وآثاره، فقلب، لأنهم إذا رأوا الاثر كالعين فقد رأوا العين كالأثر[١٣٦] ومثله قول النابغة:

وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي على وعلٍ في ذي المطارة عاقلِ

"وكان الوجه أن يقول: حتى ما تزيد مخافةُ وعل على مخافتي، فقلب، لأن المخافتين استوتا"[١٣٧]

وقوله رؤبه المتقدم ذكره:

ومهمهٍ مغبرَّة أرجاؤه كأن لون أرضه سماؤه

وكان الوجه أن يقول:" كأن لون سمائه من غبرتها لون أرضه" فقلب لأن اللونين استويا"[١٣٨] ومنه قوله عز وجل" خلق الأنسان من عجل" أي خلق العجل من الأنسان وهو قول أبي عبيدة في مجازه[١٣٩]

وهكذا يتضح أن الشيئين إذا استويا كان ذلك من مسوغات الكلام ولا اشكال في ذلك.

القلب في التركيب النحوي:

اجمع النحاة على أن القلب حاصل في الكلام العربي شعره ونثره، وقد تبين من خلال ما قدمنا من بحث أن الكتاب الاول للنحو قد خاض فيه، كما أن المبرد قد أَلَفَ فيه مؤلفاً أسماه(ما اتفق لفظه واختلف معناه)، وقد أفرد لذلك ابن جني باباً كما قدمنا، وكذلك فعل ابن عصفور وتوسع في بحث هذا الجانب فأفرد له في كتابه(ضرائر الشعر) باباً أسماه(ابدال الحكم من الحكم) قال فيه(وأما إبدال الحكم من الحكم فمنه قلب الإعراب أو غيره من الأحكام لأن اللفظ إذا قلب حكمه أعطي بدله حكم غيره"[١٤١]وهذا في الواقع هو المفهوم نفسه الذي صرح به ابن فارس بقوله" من سنن العرب: القلب، وذلك يكون في الكلمة ويكون في القصة فأما الكلمة فقولهم: جذب وجبذ... وأما الذي في غير الكلمات – ويعني بذلك التركيب النحوي- فقولهم كما عصب العلباء بالعود، وكما كان الزناء فريضة الرجم، وكأنَّ لون أرضه سماؤه، وكأنَّ الصفا أوراكها، انما أراد: كأنَّ أوراكها الصفا، ويقولون: أدخلت الخاتم في اصبعي، و: تشقى الرماح بالضياطرة الحمر و: كما بطنت بالفَدَن السباعا وحسرت كفي عن السربال. وانما حسر السربال عن كفه ومثله في كتاب الله جل ثناؤه (خلق الأنسان من عجل)[١٤٢]ومنه قوله جل ثناؤه (وحرمنا عليه المراضع من قبل) ومعلوم أن التحريم لا يقع الا على من يلزمه الامر والنهي، وإذا كان كذا فالمعنى: وحرمنا على المراضع أن يرضعنه... وقال بعض علمائنا ومنه قوله جل ثناؤه (فانهم عدو لي الا ربَّ العالمين)[١٤٢] والاصنام لا تعادي أحداً فكأنه قال: (فاني عدو لهم).[١٤٢]

والواضح أن التمثيل الذي أورده ابن فارس كان قد شمل الشعر والقرآن الكريم وبذلك رد على من أنكر القلب كابن درستويه ومتابعه أبي حيان ، وقد أشار الزركشي الى أن حازم القرطاجني قد أنكر القلب ذاكراً أن ذلك قد جاء في كتاب (منهاج البلغاء) ونقل عبارة يفترض انها منقولة من حازم في كتابه المذكور فقال الزركشي أن حازماً" قال: إنّه ممّا يجب أن ينزه كتاب الله عنه، لأن العرب إن صدر ذلك منهم فبقصد العبث أو التهكم أو المحاكاة او حال اضطرار والله منزه عن ذلك". والحق اننا لم نجد مثل هذا التعبير عند حازم رغم تدقيقنا وامعاننا في درسه كما أن التحليل لم يثبت لدينا انكاره لاسلوب القلب وانما أثبت ضوابط وضعها لهذا الاسلوب وبدونها فان حمل الكلام على الاستقلمة اولى من القلب وقد ربط استخدام هذا الاسلوب من قبل

الفصحاء وقد قسم القرطاجني توضيحه للمسائل بثلاثة اشياء هي" المعلم" ثم يعقبها بـ"تنوير" ينقل فيه الآراء المختلفة ثم" إضاءة" يبدي فيها وجهة نظره، وفيما يخص بحثنا ذكر في هذا الاسلوب وفي حقل التنوير" أن أكثر الناس يجعلون هذا النوع من الكلام مقلوباً، وبعض الناس يتأول ما ورد من ذلك تأويلاً فيه سلامة من القلب، ويرى- أي هذا البعض ويتضح من ذلك الفعل أن هذا ليس برأي له- أن ذلك وان بعد التأويل أولى من حمل الكلام على القلب"[١٤٤]، ولكنه في الاضاءة حدد وقوع هذا الاسلوب بالفصحاء وعاب على غيرهم ارتكاب هذا المركب الصعب وسماهم بـ"أرداف الفصاحة"، وهذا وفيما سننقله من قول له لايدل على انكار وانما على العكس من ذلك يدل على انه يولى هذا الاسلوب مكانه عالية لا تتحقق الا في عِلية القوم وانكاره ينصب على أرداف الفصاحة الذين يردمون القياس ويغلطون فيه وفي ذلك يقول:" ويشبه أن يكون هذا الضرب من الكلام مما غلط فيه من ليس من علية فصحاء العرب وبلغائها بالحمل على العلية منهم، فكل امريء منهم انما يأتم في الفصاحة بمن فوقه فإذا وجد المؤتم منهم كلاماً لمن يأتم به قد قصد به مقصداً يمكن أن يفهم على خلافه، بل ربما كان خلافه أسبق الى الفهم لكونه أشهر فيما يقال في الغرض المقصود بالكلام... فمن عادتهم أن يأخذوا الكلام من كل مأخذ ويجتلبوا المعاني من كل مجتلب، وان يتلاعبوا بالكلام على وجوه من الصحة ، فهم الكلام على خلاف ما قصده القائل ورأى العبارة لا تدل على فهم الا بعد القلب، فظن أن هذا مذهب في الكلام لمن يأتم به، وأن للشاعر أن يعبر عن المعنى بما لا يدل عليه الا بعد القلب، ويكتفي بما يسبق الى الافهام في ذلك فيجعل ذلك مذهباً له فيخطيء فيه، وعلى هذا النحو وقع كثير من المذاهب الفاسدة في كلام العرب لأن أرداف الفصاحة منهم إذا رأوا لصدورهم استعمالاً ما في شيء قاسوا على ذلك ما يرون انه مماثل لذلك الشيء ، وقد تكون بينهما مفارقة من وجه أو أوجه فيغلطون في القياس وكذلك في كثير مما يتأولونه عليهم، فلذلك يجب أن لا يقبل من الضرائر الا فيما اجتمعت عليه الروايات الصحيحة من كلام علية الفصحاء منهم مما تحقق براعة انتسابه اليهم كقصائد امريء القيس والنابغة وزهير ومن جرى مجراهم[١٤٤]وفيه أيضاً اشارة الى ما توسع فيه ابن عصفور بإبدال الحكم من الحكم أو ما وضعه ابن هشام في القاعدة العاشرة

كما ذكرنا سابقاً، وذلك يعني أن مثل هذا القلب يتتبع قلب الإعراب والتذكير والتأنيث والعطف، وحروف الجر بإبدال بعضها ببعض، وغير ذلك مما سنذكر بعضه في قابل البحث مختصراً خشية الاطالة وتضخم البحث، علماً ان الزركشي اشار الى نوعين من ذلك القلب هما قلب الاسناد والعطف وسيأتي الحديث عن العطف بعد أن نذكر قول الزركشي في الاسناد حيث ذكر أن قلب الاسناد يشمل الاسناد الى شيء والمراد غيره كقوله تعالى" ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة"[٤٦] وقد سبق للبحث أن خاض فيها، وذكر أيضاً أن من الاسناد قوله تعالى" خلق الأنسان من عجل"[٤٧] ومثله" لكل أجل كتاب"[١٤٨] و"إن يردك بخير"[١٤٩] و" فتلقى آدم من ربه كلمات"[١٥٠] و" فعميت عليكم"[١٥١] وقوله" فاختلط به نبات الارض"[١٥٢] وقوله" وقد بلغت من الكبر عتياً"[١٥٣] و"قد بلغني الكبر"[١٥٤] وقوله" أفرأيت من اتخذ الهه هواه"[١٥٥] وقوله" فأنهم عدو لي الا رب العالمين"[١٥٦] وجعل منه بعضهم"وانه لحب الخير لشديد"[١٥٧] وجعل الزمخشري منه قوله تعالى" ويوم يعرض الذين كفروا على النار"[١٥٨] وقوله" وحرمنا عليه المراضع من قبل"[١٥٩] وقوله تعالى" وما يخادعون الا أنفسهم "[١٦٠] و " جاءت سكرة الموت بالحق"[١٦١] وقد مر تحليل بعضها فيما سبق من البحث وسنحاول ان تحلل قسما آخر منها مضافاً اليها آيات اخر ضمن تقسيم آخر نرتئيه ضمن الابواب النحوية التي شملها القلب مبتدئين بالقلب الحادث في باب العطف.

القلب في العطف:

ومنه قوله تعالى: "ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى"[١٦٢]. قال الطبري" وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم وانما هو ثم تدلى فدنى، ولكنه حسن تقديم قوله"دنى" إذ كان الدنو يدل على التدلي والتدلي على الدنو كما يقال: زارني فلان فأحسن، وأحسن اليّ فزارني، وشتمنى فأساء وأساء فشتمني، لأن الإساءة هي الشتم والشتم هو الإساءة".[١٦٣]

والحق أن قوله تعالى ((فكان قاب قوسين أو أدنى)) المتمم لقوله السابق "ثم دنا فتدلى" فيه قلب أيضاً حيث نقل لنا ابن هشام نقلاً عن الجوهري أن أصله" قابي قوس، فقلبت التثنية بالافراد، وهو حسن، إنْ فُسِّر القاب ما بين مقبض القوس وسيتَها أي طرفها، ولها طرفان، فله قابان ونظير هذا إنشاد ابن الإعرابي.

إذا أحسن ابن العم بعد اساءةٍ فلست لشريٍّ فعله بحمول

أي فلست أحسن فعليه[١٦٤] ونحن إذ وضعنا هذا القلب هنا وان كان موضِعُه الافراد والتثنية فهدفنا من ذلك أن تكتمل الصورة للآية في موضع واحد. ولأن تفسيرها في المظان كان في مكان واحد.

قال الفراء:"فتدلى" كأن المعنى ثم تدلى فدنا، ولكنه جائز إذا كان معنى الفعلين واحداً أو كالواحد قدمت أيهما شئت، فقلت قد دنا فقرُبَ، وقرُب فدنا، وشتمني فأساء وأساء فشتمني وقال الباطل لأن الشتم والاساءة شيءٌ واحد.

وكذلك قوله ((اقتربت الساعة وانشق القمر))(القمر/١) والمعنى والله أعلم: انشق القمر واقتربت الساعة والمعنى واحد"[١٦٥].

وقد نقل القرطبي قول الفراء وأعقبه بقول الجرجاني والأنباري وابن عباس فقال" وقال الجرجاني: في الكلام تقديم وتأخير، أي تدلى فدنا، لأن التدلي سبب الدنو، وقال ابن الأنباري: ثم تدلى جبريل أي نزل من السماء فدنا من محمد. وقال ابن عباس: تدلى الرفرف لمحمد(ص) ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه".[١٦٦] والحق أن الواقع اللغوي يؤيد أن الدنو والتدلي معناهما واحد أو كالواحد كما ذهب اليه الفراء وأيده الزجاج حيث قال" معنى دنا فتدلى واحد لأن المعنى أنه قرب فتدلى أي زاد في القرب كما تقول قد دنا مني فلان وقرب"[١٦٧] ويؤيد أيضا ما نذهب اليه هو مجيء أفعل التفصيل (أدنى) في نهاية الآية زيادة في تأكيد القرب كما أن متممة الآية

فيها قلب أيضاً حيث جاء في تفسير القرطبي" وقال بعضهم في قوله تعالى" قاب قوسين" أراد(قأبي قوس) فقلبه."[١٦٥]
وفي الحديث" ولقاب قوس أحدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا وما فيها" والقد: السوط. وفي الصحيح عن أبي هريرة قال النبي(ص) " ولقاب قوس احدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها"[١٦٦].

ومن العطف أيضاً:

قوله تعالى ((اني متوفيك ورافعك اليّ ومطهرك)) (آل عمران/٥٥).
جاء في معاني القرآن للفراء "ان هذا مقدم ومؤخر، والمعنى فيه: اني رافعك اليّ ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد انزالي اياك في الدنيا."[١٧٠]
وقد اختلف المفسرون في معنى الوفاة الواردة في الآية الكريمة ومنشأ اضطرابهم في ذلك أن المعروف الذي جاء به الأثر أن عيسى (ع) حي يرزق وانه لم يمت وانه راجع الى الناس قبل يوم القيامة فأختلفت اقوالهم على الشكل التالي
اولاً: ان الوفاة هي وفاة نوم بمعنى اني منيمك ورافعك اليّ[١٧١]
ثانيا: معنى متوفيك: قابضك من الارض فرافعك اليّ فمعنى الوفاة القبض كما يقال: توفيت من فلان مالي عليه بمعنى: قبضته واستوفيته فمعنى متوفيك ورافعك أي قابضك من الارض حياً الى جواري وآخذك الى ما عندي بغير موت ورافعك من بين المشركين[١٧٢]
ثالثاً: ان الوفاة هي وفاة موت ثم أحياه الله، بمعنى" اني مميتك حتف انفك لا قتلاً"[١٧٣]
رابعاً: ان معنى ذلك اني رافعك ومتوفيك بعد انزالي اياك الى الدنيا وقال القائلون بهذا الرأي" هذا من المقدم الذي معناه التأخير والمؤخر الذي معناه التقديم[١٧٤]
خامساً: اجعلك كالمتوفي [١٧٥]
سادساً: آخذك وافياً بروحك وبدنك[١٧٦]
سابعاً: متوفيك: متقبل عملك[١٧٧]
ثامناً: متوفيك عن شهواتك [١٧٨]

والحق اننا مع رأي الفراء القائل بالتقديم والتأخير أي القلب وذلك لأن الواو العاطفة مشركة لا توجب الرتبة فيكون المعنى على ذلك: اني رافعك اليّ ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد ان تنزل من السماء كقوله ((ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجل مسمى))(طه/١٢٩) والتقدير "ولولا كلمة سبقت من ربك واجل مسمى لكان لزاماً" وعليه قول الشاعر:

الا يانخلة من ذات عرق عليك ورحمةُ الله السلام

اي عليك السلام ورحمة الله

وفي هذا الباب جاء قوله تعالى:

((كتابٌ أنزل اليك فلايكن في صدرك حرجٌ منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين))(الاعراف/٢).

دخول الفاء يحتمل وجهين:

أحدهما: أن تكون عاطفة جملة على جملة والتقدير: هذا كتاب أنزلناه اليك فلا يكن بعد انزاله في صدرك حرج.

الثاني: ان يكون جواباً وتقديره: إذا كان انزل اليك الكتاب لتنذر به فلا يكن في صدرك حرج منه.

قال الطبري: "وهو من المؤخر الذي معناه التقديم ومعناه: كتاب انزل اليك لتنذر به وذكرى للمؤمنين فلا يكن في صدرك حرج منه"[١٧] وقد ذكر الطبري أن القاتلين بذلك"الفراء والزجاج وأكثر العلماء"[١٨]

ونحن مع القلب في هذا الموضع ونؤيد ما جاء به النحاة ونستمد تأييدنا من الواقع اللغوي إذ أن اللام تتعلق بقوله(انزل اليك) والتقدير: كتاب انزل اليك لتنذر به فلا يكن في صدرك حرج منه، ولأن التقديم والتأخير هنا يؤيده الواقع إذ ان الحرج لا يأتي الا بعد الأنذار والتبليغ بمضمون الكتاب والتعاليم التي يقف المناوئون للدعوة منها موقفاً معادياً فلو لم يكن هناك انذاراً أو تبليغاً لما كان هناك حرجاً، وبهذا يسقط قول إبن الأنباري بأن اللام بمعنى كي ولا مبرر لجعل اللام بموضع أن في قول آخر[١٩].

قال الطباطبائي: "وقوله لتنذر به غاية للأنزال متعلقة به كقوله (وذكرى للمؤمنين وتخصيص الذكرى بالمؤمنين دليل على ان الأنذار يعمهم وغيرهم فالمعنى: أنزل اليك الكتاب لتنذر به الناس وهو ذكرى للمؤمنين خاصة لأنهم يتذكرون بالآيات والمعارف الإلهية المذكورة فيها مقام ربهم فيزيد بذلك إيمانهم وتقرّ بها أعينهم، وأما عامة الناس فأن هذا الكتاب يؤثر فيهم أثر

الأنذار بما يشتمل عليه من ذكر سخط الله وعقابه للظالمين في الدار الآخرة وفي الدنيا بعذاب استئصالهم كما تشرحه قصص الأمم السالفة. ومن هنا يظهر أن قول بعضهم: إن قول (لتنذر به) متعلق بالحرج والمعنى: لا يكن في صدرك حرج للأنذار به، ليس بمستقيم فإن تعقبه بقوله (وذكرى للمؤمنين) بما عرفت من معناه يدفع ذلك"[١٨٢]

ومن العطف الذي جاء على إسلوب القلب قوله تعالى: ﴿وكم من قرية اهلكناها فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون﴾ (الأعراف/٤)، الفاء في قوله (فجاءها بأسنا) للتعقيب وفيها أقوال:

أولاً: أهلكناها في حكمنا فجاءها بأسنا أي حكمنا بهلاكها[١٨٣]

ثانياً: أهلكناها بإرسال ملائكة العذاب اليها فجاءها بأسنا

ثالثاً: إنها مثل زرتني فأكرمتني فإن نفس الإكرام هي الزيارة وحجتهم في ذلك إن الفاء وإن كانت للتعقيب الذي يوجب المغايرة فانها تأتي أيضاً للتفسير واستدل بقول الرسول (ص) "لا يقبل الله صلاة أحدكم حتى يضع الطهور مواضعه فيغسل وجهه ويده" فالفاء في قوله فيغسل للتفسير لأن غسل الوجه واليدين كالتفسير لوضع الطهور مواضعه، فكذلك هنا البأس جار مجرى التفسير لذلك الإهلاك، لأن الإهلاك قد يكون بالموت المعتاد وقد يكون بتسليط البأس والبلاء"[١٨٤].

رابعاً: إن الفاء هنا بمعنى الواو وهو قول الفراء الذي قال "انما اتاها البأس من قَبْل الإهلاك، فكيف تقدم الهلاك؟ قلت: لأن الهلاك والبأس يقعان معاً، كما تقول: أعطيتني فأحسنت، فلم يكن الإحسان بعد الإعطاء ولا قبله، انما وقعا معاً، فاستجيز ذلك. وإن شئت كان المعنى: وكم من قرية اهلكناها فكان مجيء البأس قبل الإهلاك فأضمرت كان وانما جاز ذلك على شبيهه بهذا المعنى، ولا يكون في الشروط التي خَلَفتَها بمقدم معروف أن يقدم المؤخر أو يؤخر المقدم مثل قولك: ضربته فبكى وأعطيته فأستغنى، ألا ان تدع الحروف في مواضعها وقوله (أهلكناها فجاءنا) قد يكونان خبراً بالواو: أهلكناها وجاءنا البأس بياتاً"[١٨٥].

وقد رد الطبري على الفراء قوله بأن "هذا قول لا معنى له إذ كان للفاء عند العرب من الحكم ما ليس للواو في الكلام"[١٨٦]ويبدو أن هذا الرد قد قال به على بن عيسى حسب ما نقل لنا الطبرسي إذ قال "ورد عليه علي بن عيسى

بأنه نقل حرف عن معناه بغير دليل وذلك لا يجوز"[١٨٧] ويبدو أن القرطبي بعد أن أوجز الآراء في الآية أسهب في عرض وجهة نظر الفراء ونحن إذ ننفق معه في ترجيح رأي الفراء نعرض لقوله أولاً حيث قال "وحكى الفراء أيضاً أنه إذا كان معنى الفعلين واحداً أو كالواحد قدمت ايهما شئت فيكون المعنى وكم من قرية جاءها بأسنا فأهلكناها مثل دنا فقرب وقرب فدنى، وشتمني فأساء، وأساء فشتمني لأن الإساءة والشتم شيء واحد.

وكذلك قوله ((اقتربت الساعة وانشق القمر))(القمر/١): المعنى -والله اعلم- انشق القمر فاقتربت الساعة. والمعنى واحد.

ولهذا فاننا نقول انه لا يلزم من فاء التعقيب ان تكون مرتبة أو انها تقع للترتيب.

ونختم القلب في باب العطف خشية الاطالة ونحن نعتقد اننا اعطينا صورة وافية لذلك بما جاء من قوله تعالى: ((فالقه اليهم ثم تولّ عنهم فأنظر ماذا يرجعون))(النمل/٢٨).

قال الزركشي "حقيقته: فانظر مإذا يرجعون ثم تول عنهم، لأن نظره ما يرجعون من القول غير متأت مع توليه عنهم، وما يفسر به التولي من أنّه يتوارى في الكوة التي القي منها الكتاب، مجاز، والحقيقة راجحة عليه"[١٨٨].

ورأي الزركشي نابع عن حجة عقلية مفادها انه لا يمكن له ان يتلقى ردهم على الكتاب الملقى اليهم ان هو تولى عنهم وبهذا فهو يؤيد القلب في هذا الموضع الذي انكره ابن هشام حين قال: "قيل: ومن القلب (إذهب بكتابي هذا...الآية) واجيب بأن المعنى: ثم تول عنهم الى مكان يقرب منهم، ليكون ما يقولونه بمسمع منك فأنظر مإذا يرجعون."[١٨٩] وكذا الأمر عند أبي البقاء العكبري الذي رأى ان لا تقديم ولا تأخير في الآية، لأن التقدير (قف، عنهم حجزاً لتنظر ماذا يردون)[١٩٠]، وإن كان الفراء من قبل قد أيده ذاهباً الى أن اسلوب التقديم والتأخير فيما اصطلحنا عليه بالمقلوب هو بيِّن في العربية قال: "قوله: ثم تولّ عنهم فانظر، يقول القائل: كيف أمره أن يتولى عنهم وقد قال (فانظر مإذا يرجعون) وذلك في العربية بيّن أنه استحثه فقال: إذهب بكتابي هذا وعجّل ثم أخّر (فانظر مإذا يرجعون) ومعناها التقديم"[١٩١].

ويبدو ان هناك رأيان الاول لوهب بن منبه ويذهب الى ان الامر بالتولي هو حسن أدب (ليتنحى حسب ما يتأدب به الملوك، بمعنى: وكن قريباً بحيث تسمع مراجعاتهم[١٩٢] والرأي الثاني: قاله ابن زيد والقاضي بأن أمره بالتولي

بمعنى الرجوع إليه أي: ألقه وارجع. قال: وقوله (فانظر مإذا يرجعون) في معنى التقديم على قوله (ثم تولّ عنهم). وهذا ما لم يجد له ابو علي الفارسي "ضرورة تدعو الى التقديم والتأخير" وقد عبر عن ذلك القرطبي بقوله أن "اتساق رتبة الكلام أظهر، أي ألقه ثم تول، وفي خلال ذلك فأنظر أي انتظر وقيل: فأعلم كقوله ((يوم ينظر المرء ما قدمت يداه))النبأ/٤٠. أي اعلم مإذا يرجعون أي: يجيبون ومإذا يردون من القول وقيل: (فانظر مإذا يرجعون) يتراجعون بينهم من الكلام[١٩٣].

المفعولية:

والآية الكريمة التي مر ذكرها ونعني بها قوله تعالى ((خلق الأنسان من عجل)) فيها قلب من ناحية الإعراب وذلك ان:

"عجل" في موضع نصب على المفعولية او الحالية، وهو من باب القلب على رأي أبي عمرو بن العلاء[١٩٤]وقريب منه في باب المفعولية ((ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والأنس))[١٩٥]ويجوز ان يكون "لجهنم" في موضع النصب على المفعولية أو الحال من كثيراً وقد رد أبو حيان القلب في الآية على انه ولقد ذرأنا جهنم لكثير بقوله "ولامحوج الى مثل هذا التكلف"[١٩٦].

ومن القلب في هذا الباب قوله تعالى ((وحرمنا عليه المراضع من قبل))[١٩٧]حيث جعلها ابن فارس من القلب فقال: "معلوم أن التحريم لا يقع الا على من يلزمه الامر والنهي، وإذا كان كذا فالمعنى: فحرمنا على المراضع أن يرضعنه، ووجه تحريم ارضاعه عليهن أن لا يقبل ارضاعهن حتى يرد الى امه"[١٩٨].

ومنه قوله تعالى ((وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها))[١٩٩]أي مجرميها أكابر على ما جاء في اعراب القرآن المنسوب للزجاج[٢٠٠]حيث مثل لذلك أيضاً بقوله تعالى: ((ذلك جزيناهم بما كفروا))[٢٠١]أي جزيناهم ذلك بكفرهم، فجعل ذلك من باب التقديم والتأخير تماماً مثل قوله تعالى: ((وجعلوا لله شركاء الجنّ))[٢٠٢]أي الجن شركاء ونحو قوله تعالى ((والله يؤتي ملكه من يشاء))[٢٠٣]أي يؤتي من يشاء ملكه، وقال: ((تؤتي الملك من تشاء))[٢٠٤]أي تؤتي من تشاء الملك. والحق ان التقديم والتأخير هو من باب

القلب إذ انه يقلب ترتيب الكلام المعتاد حتى ان ابن عصفور ذكر ان (القلب في الكلام كثير)[٢٠٤] بعد ان جاء بنماذج كثيرة مما بابه التقديم والتأخير بعد ان جعله منحصراً في تقديم حركة وتقديم حرف وتقديم بعض الكلام على بعض[٢٠٥] في فصل خاص لذلك بلغ أكثر من عشرين صفحة على ان عبارة ابن قتيبة كانت واضحة جداً حين ذكر ان (من المقلوب ان يقدم ما موضعه التأخير ويؤخر ما موضعه التقديم)[٢٠٦] ذاكراً لنماذج منها من القرآن الكريم والشعر العربي فقال: (ومن المقدم والمؤخر قوله تعالى ((الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيما))[٢٠٧] أراد: أنزل الكتاب قيماً ولم يجعل له عوجا)[٢٠٨] ويبدو أنَّ ذلك مأخوذ من قول ابن عباس الوارد في تفسير الطبري وتعليقه عليه إذ قال "عن ابن عباس: انزل الكتاب عدلاً قيما، ولم يجعل له عوجا، فاخبر ابن عباس بقوله هذا مع بيانه معنى القيم، ان القيم مؤخر بعد قوله ولم يجعل له عوجاً، ومعناه التقديم، بمعنى انزل الكتاب على عبده قيماً.. مستقيماً لا اختلاف فيه ولا تفاوت."[٢٠٩].

ومن ذلك قوله تعالى: ((فضحكت فبشرناها باسحاق))[٢١٠] أي: بشرناها باسحاق فضحكت[٢١١] قال الفراء: "فضحكت فبشرت بعد الضحك، وانما ضحكت سروراً بالامن، فاتبعوها البشرى باسحاق، ومن وراء اسحاق يعقوب، وقد يقول بعض المفسرين: هذا مقدم ومؤخر، والمعنى فيه: فبشرناها باسحاق فضحكت بعد البشارة وهو مما قد يحتمله الكلام."[٢١٢] وفي اعراب النحاس "فلما ضحكت بشروها باسحاق"[٢١٣].

ومن ذلك قوله تعالى: ((فكذبوه فعقروها))[٢١٤] أي: فعقروها فكذبوه بالعقر[٢١٥] والعقر قبل التكذيب فقد جاء في لسان العرب (العقر عند العرب: كشف عرقوب البعير ثم يجعل النحر عقراً لأن ناحر الابل يعقرها ثم ينحرها)[٢١٦] جاء في تفسير الطبري قوله: "جاز تقديم التكذيب قبل العقر، والعقر قبل التكذيب، وذلك ان كل فعل وقع عن سبب حسن ابتداؤه قبل السبب وبعده، كقول القائل: أعطيت فاحسنت، واحسنت فاعطيت لأن الاعطاء هو الاحسان، ومن الاحسان الاعطاء، وكذلك لو كان العقر هو سبب التكذيب جاز تقديم أي ذلك شاء المتكلم"[٢١٧].

ونختم حديثنا بقوله تعالى: ((ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجلٌ مسمى))[٢١٨] أي: ولولا كلمة سبقت وأجلٌ مسمى، لكان العذاب لزاماً[٢١٩] قال

الطبري "وقدم قوله: لكان لزاماً، قبل قوله: وأجل مسمى، ومعنى الكلام: ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى، لكان لزاماً، فاصبر على ما يقولون"[٢٢١].

والواضح ان هذا الباب واسع جداً لاتسعه صفحات هذا البحث بالاحصاء والاستقصاء وانما ذكرنا من النماذج القرآنية والشعرية ما يوضح المقصود لكي لا يتضخم البحث[٢٢٢].

الافراد والتثنية: وقد فسّره ابن عصفور حين مثل لذلك بقول بعض البغداديين:

كما دحستَ الثوبَ في الوعائين

قال: "يريد الثوبين في الوعاء، وهذا ليس بقلب اعراب، وانما قلب حكم الافراد والتثنية، فجعل التثنية التي ينبغي أن تكون للثوب للوعاء، وجعل الافراد الذي ينبغي ان يكون للوعاء للثوب"[٢٢٣].

ومثله قول الفرزدق:

ووقراء لم تُخْرَزْ بيسر وكيعةٍ عدوت بها طياً يدي برشائها

(يريد طياً رشائها بيدي)[٢٢٤].

ومثله قول الآخر:

إذا احسن ابن العم بعد إساءة فلست لشري فعله بجهولِ

يريد: لشر فعليه[٢٢٥]وقد مربنا فيما تقدم من البحث بعض من نماذجه

التذكير والتأنيث:

قال ابن عصفور: "ان يكون مذكراً فيحكم له بحكم المؤنث، بدلا من تذكيره، او يكون مؤنثا فيحكم له حكم المذكر بدلا من تأنيثه، حملاًعلى المعنى."[٢٢٦]ومثل للنوعين بقول الشاعر:

يا أيّها الرجلُ المزجي مطيته سائل بني أسد ما هذه الصوت

فأنث الصوت لأنه بمعنى الصرخة والاستغاثة، وقول الآخر:

وجمال المئين إذا ألمت بنا الحدثان والأنف النصور

فأنث الحدثان لأنه قد يراد به الكثرة، فيكون في معنى الحوادث[٢٢٧].

ثم ضرب لذلك أمثلة أخرى اكتفينا بذكر ما سبق منها خشية الاطالة علماً ان ابن جني جعل تأنيث المذكر من قبيح الضرورة معللاً ذلك بانه خروج من أصل الى فرع اعتماداً على أصل أصَّله النحاة بأن التأنيث فرع والتذكير

أصل، قال: "وانما المستجاز من ذلك رد التأنيث الى التذكير لأن التذكير هو الاصل"[٢٢٩].

التأكيد:

قال تعالى: ((ومن الجبال جددٌ بيضٌ وحمر مختلف ألوانها وغرأبيب سود))[٢٣٠]. قال ابو عبيدة "وغرأبيب سود: مقدم ومؤخر لأنه يقال: أسود غربيب"[٢٣١] وهذا ما نقله الطريحي في معجمه الذي اشار فيه الى معنى الغربيب إذ قال: "قيل هو مقدم ومؤخر ومعناه: سود غرأبيب، يقال: اسود غربيب أي شديد السواد وقيل هي الجبال الطوال السود"[٢٣٢].

ويبدوا ان للنحاة فيها رأيان:

الأول انها على البدل فإذا قلت: "غرأبيب سود تجعل السود بدلاً من غرأبيب لأن الابدال لا تتقدم"[٢٣٣] قال ابن منظور: "وإذا قلت غرأبيب سود تجعل السود بدلاً من غرأبيب لأن توكيد الالوان لا يتقدم، وفي الحديث: أن الله يبغض الشيخ الغربيب، هو شديد السواد، وجمعه غرأبيب، اراد الذي لا يشيب، وقيل اراد الذي يُسوِّدُ شيبه"[٢٣٤].

والثاني: انها على التوكيد وهو رأي الزمخشري إذ قال "فان قلت: الغربيب تأكيد للأسود.. ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد كقولك: اصفر فاقع وأبيض يقق وما اشبه ذلك. قلت: وجهه أن يضمر المؤكد قبله، ويكون الذي بعده تفسيراً لما أضمر كقول النابغة: "والمؤمن العائذات الطير".

وانما يفعل ذلك لزيادة التأكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريق الاظهار والاضمار جميعاً، ولا بد من تقدير حذف المضاف في قوله تعالى: ومن الجبال جدد، بمعنى: ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يئول الى قولك: ومن الجبال مختلف الوانه"[٢٣٥].

وبناءً على رأيه فان المؤكد عند الزمخشري محذوف والموجود في الآية القرآنية الكريمة انما هو تفسير له. وهو رأي لا نميل اليه استناداً الى اصل النحاة من ان ما لا يحتاج الى تقدير أولى مما يحتاج اليه، ومثل هذا مما لا محوج فيه الى التأويل قوله تعالى ((فعمِّيت عليكم))[٢٣٦] فقد جعلوه من المقلوب بمعنى: فعميتم عنها، إذ الاخبار التي أتت من الله خفي فهمها عليهم لقلة مبالاتهم بها، وكثرة اعراضهم عنها[٢٣٧]. وكذا قوله تعالى: ((ويوم

يعرض الذين كفروا على النار))[٢٣٧] فهو محمول على القلب بمعنى: يوم تعرض النار عليهم تماماً مثل قول العرب: عرضت الناقة على الحوض، قال الزمخشري: "وعرضهم على النار تعذيبهم بها من قولهم: عرض بنو فلأن على السيف إذا قتلوا به، ومنه قوله تعالى ((النار يعرضون عليها)) ويجوز ان يراد عرض النار عليهم من قولهم: عرضت الناقة على الحوض، ويريدون: عرض الحوض عليها فقلبوا، ويدل عليه تفسير ابن عباس (رض) يجاء بهم اليها فيكشف لهم عنها"[٢٣٨].

وقد أنكر أبو حيان ان يكون قوله تعالى ((فانهم عدو لي الا رب العالمين))[٢٣٩] محمول على القلب بمعنى فإني عدو لهم لأن الاصنام لا تعادي أحداً وذلك لأن فيه (تكلف).

نتائج البحث

تناول هذا البحث ما أغفله الدراسون عن اسلوب من أساليب العربية قال عنه ابن جني أنَّه "فصل من فصول العربية، تجده في معاني العرب كما تجده في معاني الإعراب" وقد عدّه ابن فارس بانّه "من سنن العرب القلب وذلك يكون في الكلمة، ويكون في القصة" وقد ذكر ابن هشام بأن من فنون كلامهم القلب، وكل ذلك مبثوث في ثنايا البحث بعد أن استعرض المصطلح لدى سيبويه والمبرد الذي أفرد باباً عنون له "هذا باب ما كان لفظه مقلوباً".

وقد تبين للباحث أن مصطلحات عدة تشترك مع لفظ القلب في اعطاء المفهوم ذاته نحو: التشبيه المعكوس وعكس التشبيه والمنعكس والابدال وقصر القلب والطرد والعكس وحمل الأصل على الفرع والتشبيه المقلوب وغير ذلك وكلها تدل على تحويل الشئ من جهته الاصلية.

والحق أن هذا الاسلوب يقع في ميدان الكلمة والجملة والتركيب النحوي مما يؤدي الى قلب الإعراب مما يستوجب حكماً اعرابياً جديداً، ولا يخفى أن ذلك من

عوامل نمو اللغة وتطورها فهي كائن حي مستجيب للتطور الدلالي وهو سمة بارزة لحيوية اللغة العربية التي بقيت حية على طول الزمن لتنوع اساليبها وقدرتها على تطويع الفاظها القليلة وبناها المحدودة في قوالب نحوية وبلاغية كثيرة منها اسلوب القلب الذي عدّه النحاة الاوائل فصلاً من فصولها وسمتاً لها.

وقد وضّح البحث علاوة على هذا أن القلب يقع في الشعر والنثر كما يقع في القرآن الكريم وقد استشهد البحث في مواطن كثيرة بآي الذكر الحكيم دلالة على ان المصحف الشريف قد استخدم هذا الاسلوب لأنه نزل على سمت كلامهم وذلك محاولة منا للرد على من أنكر وقوعه في القرآن كابن درستويه الذي لم يصل الينا كتابه، وربما لو كان قد وقع في ايدينا، لما وجدنا مثل هذا الأنكار الذي نسب الى حازم القرطاجني ولم نجده عنده عند قرائتنا لكلامه وتحليله تحليلاً علمياً إذ أن الرجل لم ينكر القلب من حيث هو اسلوب متبع من اساليب الكلام، وإنّما أنكره في مواضع يقصد منها العبث أو التعسف وما الى ذلك مما لا يحتمله ذلك الموضع وعدا ذلك فانه اسلوب معتمد ينحو نحوه الشعراء المتميزون البارعون في صناعة الكلام ونظمه.

وختاماً نوجه شكرنا للباري عز وجل إذ دلنا على موضوع قد تناساه الباحثون عله يسد في المكتبة العربية جزءاً مثلوماً منها والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً.

المصادر والمراجع

- أدب الكاتب لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) تحقيق الاستإذ علي فاغور دار الكتب العلمية بيروت ط٣ ٢٠٠٣م-١٤٢٤هـ.
- أساس البلاغة للزمخشري، كتاب الشعب، دار مطابع الشعب، ١٩٦٠م.
- الاضداد- أبو بكر بن الأنباري تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، الكويت، ١٩٦٠م.
- الاضداد- أبو حاتم السجستاني تحقيق اوغست هفنر، المطبعة الكاثوليكية ١٩١٣م (ضمن ثلاثة كتب في الاضداد)
- الاضداد- قطرب تحقيق هانس كوفلر- مجلة اسلاميكا، المجلد السادس ١٩٣١م.
- الاضداد في كلام العرب لأبي الطيب اللغوي تحقيق عزة حسن، دمشق، ١٩٦٣م.

- اعراب القرآن المنسوب الى الزجاج تحقيق ودراسة ابراهيم الأبياري، المطابع الأميرية ١٣٨٤هـ-١٩٦٥م.
- إعراب القرآن لأبي جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس (٣٣٨هـ) تحقيق د.زهير غازي زاهد، عالم الكتب ط٢، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
- أمالي المرتضى للشريف المرتضى تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة ١٩٥٤م.
- أنوار الربيع في أنواع البديع لعلي بن معصوم المدني تحقيق شاكر هادي شكر مطبعة النعمان، النجف الاشرف، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م.
- البرهان في علوم القرآن للامام بدر الدين الزركشي (٧٩٤هـ) خرّج حديثه وعلق عليه مصطفى عبد القادر عطا، دار الفكر، بيروت- لبنان ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.
- البيان والتبيين للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون ط٢ القاهرة ١٩٦٠م.
- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة شرحه السيد احمد صقر، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان ط٣ ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
- التطور اللغوي التاريخي، الدكتور ابراهيم السامرائي، دار الأندلس بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- تفسير أبي حيان (البحر المحيط) لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي دار الفكر بيروت ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.
- تفسير الرازي (التفسير الكبير مفاتح الغيب) للامام الرازي، دار الفكر، بيروت- لبنان ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
- تفسير الشوكاني (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني(١٢٥٠هـ)، مصطفى البأبي الحلبي، ط٢ ١٣٨٣هـ١٩٦٤م.
- تفسير الطباطبائي (الميزان في تفسير القرآن السيد محمد حسين الطباطبائي مؤسسة دار المجتبى ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
- تفسير الطبرسي (مجمع البيان في تفسير القرآن) لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي) حققه هاشم الرسولي المحلأني، دار احياء التراث العربي، بيروت- لبنان.

- تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار المعرفة بيروت- لبنان ط٣ ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
- تفسير القرطبي (الجامع لاحكام القرآن) لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، المكتبة التوفيقية لسيدنا الحسين.
- جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (٣٢١هـ)، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان ٢٠٠٥م- ١٤٢٦هـ.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع تأليف احمد الهاشمي، المكتبة التجارية الكبرى بمصر.
- الحيوان للجاحظ تحقيق عبد السلام محمد هارون، مصطفى الحلبي.
- خزانة الادب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٩٣هـ) تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٣، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.
- الخصائص صنعة أبي الفتح عثمان بن جني تحقيق محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد- ١٩٩٠م.
- الدراسات اللغوية عند العرب الى نهاية القرن الثالث، محمد حسين آل ياسين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.
- دور الكلمة في اللغة، أولمان ترجمة د. كمال بشر، القاهرة، ١٩٦٢م.
- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي تحقيق عبد المتعال الصعيدي، أولاد صبيح القاهرة ١٣٧٢هـ- ١٩٥٣م.
- الصاحبي في فقه اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، علق عليه أحمد حسن بسيج دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٣هـ) تحقيق د. اميل بديع يعقوب ود. محمد نبيل طريفي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- ضرائر الشعر لابن عصفور الاشبيلي تحقيق السيد ابراهيم محمد، دار الأندلس ١٩٨٠م.
- الطراز ليحيى بن حمزة بن طباطبا العلوي، القاهرة، ١٩١٤م.
- العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (١٧٥هـ) تحقيق د. مهدي المخزومي ود. ابراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، بغداد.

- غريب الحديث لابن قتيبة الدينوري تحقيق د.عبد الله الجبوري بغداد ١٩٧٧م.
- فصول في فقه العربية دكتور رمضان عبد الثواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة ط٣ ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.
- فقه اللغة العربية د.كَاصد ياسر الزيدي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
- في اللهجات العربية د. ابراهيم انيس، القاهرة ١٩٦٥م.
- القاموس المحيط للفيروز آبادي، القاهرة ١٩١٣م.
- الكتاب لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (١٨٠هـ) تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة ط٢ ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
- الكشاف عن حقائق التأويل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم جار الله الزمخشري انتشارات آفتاب تهران.
- لسان العرب لابن منظور، دار الحديث، القاهرة ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.
- لطائف اللطف لأبي منصور الثعالبي تحقيق د.عمر الاسعد، دار المسيرة- بيروت ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير تحقيق د. احمد الحوفي ود.بدوي طبانة دار نهضة مصر- القاهرة.
- مجاز القرآن لأبي عبيدة مَعْمَر بن المثنى التيمي (٢١٠هـ) تحقيق د.محمد فؤاد سزكين مكتبة الخانجي بمصر.
- مجمع البحرين للشيخ فخر الدين الطريحي تحقيق أحمد الحسيني، مطبعة الآداب- النجف.
- المخصص لأبي الحسن علي بن اسماعيل بن سيدة (٤٥٨هـ)، المكتب التجاري للطباعة بيروت.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها للعلامة السيوطي تحقيق محمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية بيروت ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.

- معاني القرآن لأبي زكريا الفراء (٢٠٧هـ) تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، دار الكتب المصرية ط١ ١٩٥٥، مطابع سجل العرب ط٢ ١٩٦٦، دار الكتب ط٣ ١٩٨٣م.
- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
- المقتضب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ) تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة عالم الكتب، بيروت.
- منهاج البلغاء وسراج الادباء لأبي الحسن حازم القرطاجني (٦٨٤هـ) تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة دار الغرب الاسلامي ط٣ بيروت ١٩٨٦م.
- النكت في تفسير كتاب سيبويه لأبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشنتمري (٤٧٦هـ) تحقيق زهير عبد المحسن سلطان منشورات معهد المخطوطات العربية، الكويت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

الهوامش

١- معجم مقاييس اللغه (قلب) ١٧/٥.
٢- م . ن بتصرف يتوخى الايجاز.
٣- م . ن (قلب) ١٨/٥.
٤- العين (قلب) ١٧٠/٥ – ١٧١
٥- م . ن (قلب).
٦- الشعراء ٢٢٧.
٧- الشعراء/ ٥٠ الاعراف/ ١٢٥.
٨- أساس البلاغه ٧٨٣ – ٧٨٤.
٩- آل عمران/ ١٧٤.
١٠- الكهف / ٤٢.
١١- م . ن /٧٨٤.
١٢- الشعراء/١٩٤.
١٣- لسان العرب (قلب) ٤٦٣/٩.
١٤- الأنعام/ ١١٠.
١٥- لسان العرب ٤٦٤/٩ (قلب)
١٦- م . ن ٤٦٤/٩
١٧- م . ن ٤٦٤/٩-٤٦٥
١٨- الكتاب ٥٠/٢
١٩- الكتاب ٥١/٢
٢٠- الكتاب ٥١/٢
٢١- الكتاب ٥١/٢
٢٢- الكتاب ٥٢/٢
٢٣- الكتاب ٢١/٣
٢٤- الكتاب ٢١/٣
٢٥- الكتاب ٨٢/٣
٢٦- الكتاب ٨٣/٣
٢٧- الكتاب ١٣٥/٣
٢٨- الكتاب ١٣٧/٣
٢٩- الكتاب ١٣٧/٣
٣٠- الكتاب ٤٦٥/٣، ٤٦٦، ٤٦٧ و ٣٧٨/٤-٣٨١،٣٧٩،....

٣١- النكت ١٥٠/١.
٣٢- م . ن ١٥١/١.
٣٣- م . ن ١٥١/١.
٣٤- المقتضب ٢٩/١.
٣٥- ضرائر الشعر /٢٧١.
٣٦- منهاج البلغاء /١٨١.
٣٧- مغني اللبيب ٦٩٥ -٦٩٧.
٣٨- الصاحي ١٥٣.
٣٩- م . ن ١٥٣.
٤٠- م . ن ١٥٤.
٤١- م . ن ١٥٤.
٤٢- الخصائص ٣٠٤/١.
٤٣- الخصائص ٣٠٤/١.
٤٤- الخصائص ٣٠٩/١.
٤٥- الخصائص ٣٠٢/١-٣٠٣.
٤٦- الخصائص ٣٠٩/١ -٣١٠.
٤٧- الخصائص ٣٠٣/١.
٤٨- المثل السائر ١٥٦/٢.
٤٩- جواهر البلاغة /٢٧٥.
٥٠- معنى اللبيب /٦٩٥.
٥١- تأويل مشكل القرآن ٢٠٣.
٥٢- الخصائص ٣٠١/١.
٥٣- الخصائص ٣٠٤/١
٥٤- الطراز ٣٠٩/١
٥٥- ٢١٤/٢ ، ٢١٥.
٥٦- منهاج البلغاء/ ١٧٩، ٤١٥.
٥٧- الرحمن/ ٧٢.
٥٨- آل عمران/ ١٤٤.
٥٩- وهو الذي يبحث في المظان تحت عناوين نحو جناس المعكوس والتجنيس المعكوس والمقلوب، الطراز٣٦٨/٢ خزانة/٣٩، أنوار الربيع١٩٥/١.
٦٠- طه/ ٩٤.

٦١- النمل/ ٢٢.
٦٢- الممتحنة /١٠.
٦٣- المائده /٥.
٦٤- لطائف اللطف لأبي منصور الثعالبي ص٥٩.
٦٥- الأنعام /٥٢.
٦٦- البقرة /١٨٧.
٦٧- الحج /٦١.
٦٨- الأضداد في كلام العرب لأبي الطيب اللغوي تحقيق د. عزة حسن ، دمشق ١٩٦٣م١/١.
٦٩- القلم /١٠ والحق أن ابا الطيب جعل الاضداد شيئاً مستقلاً عنه ونوعاً قائماً بذاته في حين أن أغلب من سبقه من نحاة ولغويين قد جعلوه من المشترك ولكنه أخص منه وانظر في ذلك كتاب سيبويه ٨/١، اضداد قطرب ٢٤٤ واضداد أبي حاتم ٧٥ وما أتفق لفظه وأختلف معناه للمبرد٢-٣ و الصاحبي ٩٦ وأضدادا بن الأنباري و المخصص ٢٥٩/١٣ والمزهر ٣٨٨/١ والدراسات اللغوية عند العرب د.آل ياسين/٤١٩.
٧٠- ابن قتيبة / تأويل مشكل القرآن /١٨٦-١٨٧.
٧١- العين ٢٦٢/١ -٢٦٣ مادة (شعب).
٧٢- فقه اللغة العربية /١٥٠ وغريب الحديث ٧٩/١-٨٠.
٧٣- ادب الكاتب /١٥٦.
٧٤- الصاحبي /٩٧-٩٨ وانظر أدب الكاتب /١٥٦.
٧٥- الصاجي ٩٧-٩٨
٧٦- المزهر ٣٩٧/١ ، التطور اللغوي التأريخي للسامرائي /٩٦
٧٧- اضداد ابن الأنباري /٢
٧٨- المخصص ٢٥٩/١٣
٧٩- انظر على سبيل المثال الدراسات اللغوية عند العرب د. ال ياسين ٤١٨ -٤٢٢ فقه اللغه العربية د. كاصد الزبيدي ١٥٠-١٦٧ فصول في فقه العربية / د. رمضان عبد التواب ٣٣٦- ٣٥٧.
٨٠- البقرة /٢٤٩.
٨١- الحاقه / ٢٠.
٨٢- الكهف /٥٣.
٨٣- البقرة /٢٣٠.

٨٤- تأويل مشكل القرآن /١٨٧.
٨٥- يوسف /٢٠.
٨٦- البقرة /١٠٢ وانظر أدب الكاتب /١٥٩.
٨٧- البقرة /١٠٢ وانظر أدب الكاتب /١٥٩.
٨٨- تأويل مشكل القرآن /١٨٨ المزهر ٣٨٨/١.
٨٩- تأويل ١٨٩ وانظر استشهاده بالاية ٧٩ من سورة الكهف والآيه ١١٦ من سورة ابراهيم وكذلك الآية ١٧ من السورة ذاتها وانظر ادب الكاتب /١٥٩.
٩٠- انظر تأويل ١٨٩- ١٩٣ وأدب الكاتب/ ١٥٩.
٩١- م . ن ١١٥
٩٢- في اللهجات العربية /٢٠٨ د. أبراهيم أنيس القاهرة ١٩٦٥م
٩٣- ذو الكلمة في اللغة ترجمة د. كمال بشر القاهرة١٩٦٢ ص١٧٧
٩٤- الاضداد لأبي حاتم السجستاني (ضمن ثلاثة كتب في الاضداد) نشر هنفر بيروت ١٩١٣م ص٩٩.
٩٥- الاضداد لأبي بكر الأنباري تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، الكويت ١٩٦٠ ص١٠٥
٩٦- التكوير/٩
٩٧- الطور /٩
٩٨- قطرب
٩٩- فصول في فقه اللغة د. رمضان عبد التواب /٣٤٩
١٠٠- تأويل /١٨٥
١٠١- أبن الأنباري /٢٥٨
١٠٢- القاموس المحيط (قشب).
١٠٣- اضداد قطرب /٢٦٧ وابن الأنباري /٣٩٢ وانظر فصول في فقه العربية٣٤٩.
١٠٤- الفتح /٩.
١٠٥- الصحاح (عزر) ٤٤٧/٢ وانظر مجمع البيان ١١٢/٩.
١٠٦- ابن الأنباري /١٤٧ ، ابو الطيب ٥٠٦/٢ فصول في فقه اللغة /٣٤٩.
١٠٧- هود /٨٧.
١٠٨- الكشاف ٢٨٧/٢.
١٠٩- الدخان /٤٩.
١١٠- تأويل /١٨٦.
١١١- مجمع البيان ٦٨/٩.

١١٢- الأنبياء /١٢-١٣.
١١٣- الأنبياء /١٢-١٣.
١١٤- الكشاف ٢/٥٦٤-٥٦٥
١١٥- الحيوان ٣/٨٢، ٥/٥١٧ والبيان والتبين ١/١٨١ وانظر ابن الأنباري/٣٢٥ والصاحبي/٢١٤
١١٦- تأويل /١٨٦ وأنظر معاني الفراء ١/١٧٧
١١٧- الفرقان /٧٤.
١١٨- تأويل /٢٠٠ وأنظر القلب للضرورة والوزن في ضرائرالشعر /٢٤٠ وما بعدها الى ٢٤٦.
١١٩- البقرة /١٧١.
١٢٠- تأويل /١٩٩
١٢١- القصص /٧٦ .
١٢٢- مجاز القرآن ١/٦٣ -٦٤ وقد ردها حازم القرطاجني وحملها على الاستقامة لا على القلب حيث قال وقد حمل قوم قوله سبحانه ((وآتيناه من الكنوز ما إنّ مفاتحه لتنوء بالعصبة اولى)) وقوله تعالى ((وانه لحب الخير لشديد)) على القلب وحَْمل الكلام على القلب في غير القرآن إذا أمكن حمله على الاستقامة تعسف شديد)) منهاج البلغاء/١٨٣.
١٢٣- الكهف /٩٦.
١٢٤- معاني الفراء ٢/٣١٠.
١٢٥- البرهان ٣/٣٣٤.
١٢٦- تاويل ٢٠٠.
١٢٧- م . ن ٢٠٣.
١٢٨- م . ن/ ٢٠٣ وانظر نماذج من الغلط في ضرائر الشعر /٢٤٦-٢٤٩.
١٢٩- م . ن/ ٢٠٣
١٣٠- م . ن /٢٠٣.
١٣١ - م . ن /٢٠٣
١٣٢ - تأويل /١٩٥
١٣٣ - م . ن
١٣٤ - م . ن /١٩٦
١٣٥ - م . ن وانظر امالى المرتضى ١/١٥٦ و سر الفصاحة /١٠٨
١٣٦ - م . ن

١٣٧ - م . ن /١٩٦
١٣٨ - م . ن و امالى المرتضى ١٥٦/١ و سر الفصاحة /١٠٨
١٣٩ - مجاز القرآن ٣٩،٣٨/١
١٤٠ - ضرائر الشعر /٢٦٦
١٤١ -الأنبياء /٣٧
١٤٢ - الشعراء/٧٧
١٤٣ - الصاحبي/١٥٣-١٥٤
١٤٤ - منهاج البلغاء /١٧٩
١٤٥ - م ن ١٨٠ -١٨١
١٤٦ - القصص/٧٦
١٤٧ - الأنبياء / ٣٧
١٤٨ - الرعد / ٣٨
١٤٩ - يونس / ١٠٧
١٥٠ - البقرة /٣٧
١٥١ - هود /٢٨
١٥٢ - يونس /٢٤
١٥٣ - مريم /٨
١٥٤ - آل عمران /٤٠
١٥٥ - الجاثية /٢٣
١٥٦ - الشعراء /٧٧
١٥٧ - العاديات /٨
١٥٨ - الاحقاف /٢٠
١٥٩ - القصص /١٢٠
١٦٠ - البقرة /٩
١٦١ - ق /١٩
١٦٢ -النجم /٨
١٦٣ - تفسير الطبري (جامع البيان) ٢٧/ ٣٦
١٦٤ - مغني اللبيب /٦٩٧
١٦٥ - معاني الفراء٣/ ٩٥- ٩٦
١٦٦ - القرطبي ١٧ /٧١
١٦٧ - لسان العرب (دلا) ٤٠٦/٣
١٦٨ - القرطبي ٧١/١٧ فتح القدير للشوكاني ١٠٦/٥ و٥٠

١٦٩ - البخاري ٢٧٩٦ في كتاب الجهاد وباب الحور العين، ٢٧٩٣ باب الجهاد وباب الغدوة والروحة، مسلم ١٨٨٠ و١٨٨٢ في كتاب الامارة باب فضل الغدوة والروحة ، الكشاف ٢٨/٤

١٧٠- معاني الفراء ٢١٩/١.

١٧١- ودليلهم قوله تعالى ((وهو الذي يتوفاكم بالليل)) الأنعام/٦٠ فتح القدير ٣٤٥/١ والبحر المحيط ١٧٦/٣.

١٧٢- فتح القدير ٣٤٤/١.

١٧٣- الكشاف ٤٣٢/١.

١٧٤- الطبري ٣٠٢- ٣٠٤

١٧٥- البحر المحيط ٢٧٧/٣.

١٧٦- البحر المحيط ٢٧٧/٣.

١٧٧- البحر المحيط ٢٧٧/٣.

١٧٨- البحر المحيط ٢٧٧/٣

١٧٩- الطبري ٨٦/٨.

١٨٠- الطبري ٣٩٥/٤ معاني الفراء ٣٧٠/١

١٨١- الرازي ١٨/١٤- ١٩

١٨٢- الميزان ٨/٨

١٨٣- الرازي ٢٣/١٤

١٨٤- م . ن ٢٣/١٤

١٨٥- الفراء ٣٧١/١-٣٧٢

١٨٦- الطبري ٨٨/٨

١٨٧- الطبري ٣٩٦/٣

١٨٨- البرهان ٣٣٨/٣.

١٨٩- مغني اللبيب ٦٩٧.

١٩٠- التبيان في اعراب القرآن ١٠٠٨/٢.

١٩١- معاني الفراء ٢٩١/٢.

١٩٢- البحر المحيط ٢٣٣/٨ فتح القدير ١٣٦/٤.

١٩٣- القرطبي ١٥٥/١٣.

١٩٤- البحر المحيط ٣١٢/٦.

١٩٥- الاعراف /١٧٩.

١٩٦- البحر المحيط ٤٢٧/٤.

١٩٧- القصص/١٢.

١٩٨- الصاحبي/١٥٤.

١٩٩- الأنعام/ ١٢٣.
٢٠٠- اغراب القرآن المنسوب للزجاج.
٢٠١- سبأ/١٧.
٢٠٢- الأنعام/١٠٠.
٢٠٣- آل عمران/ ٢٦.
٢٠٤- البقرة/ ٢٤٧.
٢٠٥- ضرائر الشعر/١٩١.
٢٠٦- م . ن /١٨٧.
٢٠٧- تأويل/١٩٣.
٢٠٨- الكهف ٢/١.
٢٠٩- تأويل/٢٠٦.
٢١٠- الطبري ١٢٦/١٥.
٢١١- هود/ ٧١.
٢١٢- تأويل /٢٠٦.
٢١٣- معاني الفراء ٢٢/٢.
٢١٤- اعراب القرآن ٢٩٣/٢.
٢١٥- الشمس/ ١٤.
٢١٦- تأويل/ ٢٠٦.
٢١٧- اللسان (عقر).
٢١٨- الطبري ٣٠/ ١٣٧.
٢١٩- طه/ ١٢٩.
٢٢٠- تأويل/ ٢٠٩.
٢٢١- الطبري ١٦/ ١٦٧.
٢٢٢- انظر مثلاً التوبة/٥٥، النساء/ ٨٣ الأنعام/ ١٣٧.
٢٢٣- ضرائر الشعر/ ٢٧٠ وانظر امالي ابن الشجري ٣٦٧/١.
٢٢٤- م . ن/ ٢٧٠ وانظر المخصص ٦/١٠ واللسان (وكع) الخصائص ١٧٢/٣.
٢٢٥- مغنى اللبيب/ ٦٩٧ واللسان (شرر) وضرائر الشعر/ ٢٧٠.
٢٢٦- ضرائر الشعر/ ٢٧١.
٢٢٧- م . ن/ ٢٧٢.
٢٢٨- سر صناعة الإعراب ١٣/١.
٢٢٩- فاطر/ ٢٧.
٢٣٠- مجاز القرآن ١٥٤/٢ الغربيب: اسود جمهرة اللغة ٦٣٨/٢.
٢٣١- مجمع البحرين ١٣١/٢.

٢٣٢- م . ن.
٢٣٣- لسان العرب (غرب) ٥٩٣/٦.
٢٣٤- الكشاف ٣٠٧/٣.
٢٣٥- هود/ ٢٨، زانظر البحر المحيط ٢١٦/٥، ومغني اللبيب/ ٩١٤.
٢٣٦- البحر المحيط ٢١٦/٥ مغني اللبيب ٦١٤.
٢٣٧- الاحقاف/ ٢٠.
٢٣٨- الكشاف ٥٢٣/٣.
٢٣٩- الشعراء/ ٧٧ وانظر البحر المحيط ٢٤/٧.